الإِنْسَانُ وَصِفَاتُهُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ
دِرَاسَةٌ سِيَاقِيَّة

الدكتور

جمعة عبد الحميد محمد ندا

مدرس أصول اللغة

بكلية اللغة العربية بإيتاي البارود

١٤٤٠هـ /٢٠١٨م

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى خلق الإنسان، وخصّه بالعقل والبيان ، ورفع اللغة العربية وأعلى شأنها ؛ حيث أنزل بها خير كتبه وأفضلها ، وأصلى وأسلم على أفصح العرب لهجة ، وأصدقهم حجة ، وأقوم الدعاة إلى الحق محجة ، وعلى آلِهِ وأصحابِهِ وأزواجِهِ وأحبابِهِ، ما اختلفتِ المباني اختلافَ الأشباحِ، وائتلفت المعاني ائتلافَ الأرواحِ .

وبعـــد

فمن الحقائق الثابتة التي لا جدال فيها ولا نقاش أن دراسة القرآن الكريم وكل ما يتصل أو يتعلق به من أسمى وأشرف وأرقى وأعظم الدراسات على الإطلاق قال الإمام الزرقاني :" "كذلكم القرآن الكريم قد شهد الفنيون والأخصائيون من حذاق اللغة العربية في أزهي عصور التوفر عليها والتمهر فيها أنه كتاب فاق الكتب ، وكلام بز سائر ضروب الكلام ، وبلغ في سموه وتفوقه حدود الإعجاز والإفحام من ناحية الفصاحة والبلاغة وما يحمل لهما من أسرار[1] ".

وقال عنه أيضًا : " "محكم السرد ، دقيق السَّبْك ، متين الأسلوب ، قوي الاتصال ، آخذ بعضه برقاب بعض في سوره وآياته وجمله ، يجري دم الإعجاز فيه كله من ألفه إلى يائه كأنه سبيكة واحدة ولا يكاد يوجد بين أجزائه تفكك ولا تخاذل كأنه حلقة مفرغة أو كأنه سمط وحيد ، وعقد فريد يأخذ بالأبصار ، نظمت حروفه وكلماته ، ونسقت جمله وآياته ، وجاء آخره مساوقًا لأوله وبدا أوله مواتيًا لآخره[2]".

وحينما كنت أفكر وأبحث هنا وهناك وأنقب من أجل فكرة لغوية أو ظاهرة لغوية أطبقها على آيات الذكر الحكيم ، وبينما كنت أقلب وأرتب الأفكار اللغوية وذلك من خلال الصور والأفكار الذهنية المختزنة في عقلي ؛ إذ يخطر في خاطري فكرة السياق اللغوي ، ثم هداني الله – ﷻ– إلى فكرة أخرى ، وهي محاولة تطبيق هذه الفكرة اللغوية على لفظ (الإنسان) المعرف بـ (أل) وصفاته في القرآن الكريم.

---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن ؛ للشيخ / محمد عبد العظيم الزرقاني ١/ ٨٤ – مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه – ط : ٣ .

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن ١/ ٦٠ .

وأقصد بالصفات هنا : الصفات بمعناها العام ؛ فتشمل الصفات المعروفة عند علماء النحو ، أو كما يطلقون عليها : (النعت) ، والصفات المعنوية ؛ التي قد تأتى أخبارًا أو أحوالًا .

وقد سمّيت هذا البحث بـ (الإنسان وصفاته في القرآن الكريم دراسة سياقية) .

فالسبب الرئيس لاختياري لهذا الموضوع : هو رغبتي الملحة في دراسة أي موضوع لغويّ يتعلق بالقرآن الكريم .

وكذلك كون السياق من المباحث اللغوية المهمة جدًّا والتي كانت محط اهتمام وعناية علماء اللغة ؛ فهو موضوعٌ دلالي في غاية الأهمية ؛ إذ يساهم في تحقيق أهم غاية في الدراسات اللغوية الدلالية ، وهي الوصول إلى المعنى المراد من الكلام ، وإزالة اللبس والغموض عن الكلمات والعبارات والجمل التي تحتمل أكثر من معنى .

وقد اقتضت خطة البحث أن يخرج في مقدمة وتمهيد وموضوع الدراسة وخاتمة وكشافات عامة للبحث .

أما المقدمة فقد تناولت فيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره .

وأما التمهيد فقد تناولت فيه مطلبين :

المطلب الأول : التعريف بالقرآن الكريم ، وبيان فضله .

المطلب الثاني : تعريف السياق وبيان أهميته ، وأنواعه .

وأما موضوع الدراسة ؛ فهو الدراسة التطبيقية للسياق في الآيات القرآنية الوارد فيها لفظ الإنسان وصفاته .

الخاتمة : وقد ذكرت فيها النتائج والحقائق التي توصلت إليها من خلال بحثى هذا.

الفهارس الفنية أو الكشافات العامة للبحث ، وتشتمل على :

– كشاف للآيات القرآنية الواردة في هذا البحث . – كشّاف للكلمات محل الدراسة.

– كشاف لمصادر البحث ومراجعه.

–كشاف عام للموضوعات التي وردت في البحث.

وقد اقتضت طبيعة الدراسة في هذا البحث اتباعي للمنهج الوصفي التحليلي من أجل بيان دلالة السياق في فهم المراد من كلمة الإنسان ، – المعرفة بالألف واللام – ، وصفاته ، ثم عرضها على كتب اللغة وكتب التفسير لدراستها وتحليلها .

وقد واجهتني بعض الصعوبات في إنجاز هذا البحث ، أبرزها صعوبة دراسة النص القرآني وخطورته في نفس الوقت ، فقد كنت أخشى من الخطأ والزلل في التحليل أو الاستنتاج ؛ وذلك لتنوع استخدامات المفسرين للسياق، مما أدى إلى صعوبة فهمه.

وأرجو من الله – العلى القدير – أن يوفقني في أن أتناول هذا الموضوع من جميع جوانبه، وأن أوضح جميع عناصره، إنه على كل شيء قدير، كما أسأله – تعالى – أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه ، وأن ينال هذا البحث الموجز والمختصر على رضا واستحسان قارئيه، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين.

د/ جمعة عبد الحميد محمد ندا

القرآن الكريم

القرآن في اللغة

القرآن مصدر مرادف للقراءة ، ثم نقل هذا المعنى للدلالة على كلام الله تعالى المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين ، وعليه تكون همزته أصلية، ونونه زائدة[١] .

وذهب بعض العلماء إلى أنه مشتقٌ من "قرأ الشيء قراءة وقرآنا: تتبع كلماته نظرًا ونطق بها[٢]". وذهب بعضهم إلى أنه مشتقٌ من "قرأت الشيء قرآنا: جمعته وضممت بعضه إلى بعض[٣]".

ومن هنا فالقرآن سميَ قرآنًا لأنه يجمع السور فيضمها. وقيل سمى بذلك لأنه جمع القصص، والأمر والنهي، والوعد والوعيد، والآيات، والسور، بعضها إلى بعض[٤].

وذهب بعضهم إلى أنه لفظ غير مشتق ولكنه علم لكتاب الله – تعالى – المنزل على سيدنا محمد – ﷺ – مثل التوراة والإنجيل ؛ فهما غير مشتقين ؛ فكان هو على شاكلتهما حسب هذا الرأي . ويأتي الإمام الشافعي على رأس هذا الفريق[٥] " .

فالقرآن إما مصدر قرأ بمعنى اسم المفعول، سواء كان من القراءة بمعنى التلاوة، أو من القراءة بمعنى الجمع، فهو مقروء؛ أي متلو، وكذلك مقروء بمعنى مجموع. وإما مصدر قرأ؛ أي: جمع، فهو قارئ بمعنى جامع، على أنه اسم فاعل.

---

(١) ينظر : معجم وتفسير لغوى لكلمات القرآن ، لحسن عز الدين أحمد الجمل ٣/ ٣٣٠ الهيئة المصرية العامة للكتاب – ط ١ : ٢٠٠٣ – ٢٠٠٨ م .

(٢) معجم وتفسير لغوى لكلمات القرآن ٣/ ٣٢٩ .

(٣) معجم وتفسير لغوى لكلمات القرآن ٣/ ٣٢٩ .

(٤) معجم وتفسير لغوى لكلمات القرآن ٣/ ٣٢٩ بتصرف .

(٥) ينظر : تهذيب اللغة، للأزهري (المتوفي: ٣٧٠هـ) ٩ / ٢٠٩ دار إحياء التراث العربي (بيروت) الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م ، ولسان العرب، لابن منظور (المتوفي: ٧١١هـ) ١٢٨/١، ١٢٩ دار صادر (بيروت) الطبعة: الثالثة: ١٤١٤ هـ (ق ر أ) ، والإتقان في علوم القرآن ، للسيوطي – ت : محمد أبو الفضل إبراهيم ١٤٤/١ الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م .

القرآن الكريم في الاصطلاح

"الكلام المعجز ، المنزل على النبي – صلى الله عليه وسلم – ، المكتوب في المصاحف ، المنقول بالتواتر ، المتعبد بتلاوته[١]" .

وأكتفي بهذا التعريف لأن هذا الأمر كما ذكر مناع بن خليل القطان : "يتعذر تحديده بالتعاريف المنطقية ذات الأجناس والفصول والخواص. بحيث يكون تعريفه حدًّا حقيقيًّا، والحد الحقيقي له هو استحضاره معهودًا في الذهن أو مُشاهدًا بالحس كأن تشير إليه مكتوبًا في المصحف أو مقروءًا باللسان فتقول: هو ما بين هاتين الدفتين، أو تقول: هو من ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾ ... إلى قوله: ﴿مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٣﴾...[٤]".

فضل القرآن الكريم

لا يخفي على ذي لبٍّ ما للقرآن الكريم من أهميةٍ عظمى ، وفضلٍ كبيرٍ ، ويكفي أنه كلام الله – ﷻ – ، ومعجزة نبينا وسيدنا ، محمد صلى الله عليه وسلم .

ويعرف فضل القرآن وأهميته "من كثر نظره، واتسع علمه، وفهم مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب، وما خصّ الله به لغتها دون جميع اللغات، فإنه ليس في جميع الأمم أمّة أوتيت من العارضة، والبيان، واتساع المجال، ما أوتيته العرب[٥]" .

والقرآن الكريم هو وثيقة النبوة الخاتمة ، ولسان الدين الحنيف ، وقانون الشريعة الإسلامية ، وقاموس اللغة العربية ، هو قدوتنا وإمامنا في حياتنا ، به نهتدي وإليه نحتكم،

---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن ، لمحمد عبد العظيم الزرقاني ١/ ١١٩ – مطبعة عيسى البابي الحلبي القاهرة .

(٢) الفاتحة / ١ .

(٣) الناس / ٦ .

(٤) مباحث في علوم القرآن لمناع ، لمناع بن خليل القطان (المتوفي: ١٤٢٠هـ) صـ : ١٦ مكتبة المعارف – ط : ٣ : ١٤٢١هـ– ٢٠٠٠م .

(٥) تأويل مشكل القرآن، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (المتوفي: ٢٧٦هـ) ت : إبراهيم شمس الدين صـ : ١٧ دار الكتب العلمية، بيروت.

وبأوامره ونواهيه نعمل ، وعند حدوده نقف ونلتزم ، سعادتنا في سلوك سننه واتباع نهجه ، وشقاوتنا في تنقب طريقه والبعد عن تعاليمه(١) .

والقرآن الكريم ذو قيمة لغوية ودينية عظيمة ، فهو أساس الفصاحة، والبلاغة، والبيان ، الأمر الذي يجعله مرجعاً وقاعدة لكل علماء اللغة العربية .

وقد شهد بفضله ألدّ أعداء الإسلام ، وها هو الوليد بن المغيرة يصف القرآن الكريم بقوله: "والله إن لقوله الذي يقول لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليحطم ما تحته، وإنه ليعلو وما يعلى عليه(٢)".

وقد وردت أحاديث نبوية كثيرة ، وأثار جليلة تبين فضل القرآن الكريم ، وأنه أعظم معجزة أنزلها الله على أفضل الرسل محمد – ﷺ– ، وأنه من أجل العبادات ، وأعظم القربات ، منها :

– عن أنس بن مالك – رضي الله عنه– قال : قال النبيُّ – ﷺ– : «إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ» ، قيل: من هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ عليه الصلاة والسلام: «أَهْلُ الْقُرْآنِ: أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُه(٣)».

– وما روى عن أبي موسى الأشعري – رضي الله عنه– أن رسول الله – ﷺ– قال " مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة : ريحها طيب وطعمها حلو ، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة : لا ريح لها وطعمها حلو ، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة : ريحها

(١) غاية المريد في علم التجويد ، للشيخ / عطية ابل نصر – ص ٩ – دار التقوى – شبرا الخيمة – ط : ٧ – ١٤٢٠ هـ .

(٢) الواضح في علوم القرآن ، لمصطفي ديب البغا صـ : ٢٧ – دار الكلم الطيب ، دمشق – ط : ٢ : ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م .

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل – ت : شعيب الأرناؤوط وآخرون ٢٩٦/١٩ رقم (١٢٢٧٩) ، مؤسسة الرسالة – ط : ٢ ،١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م ، وسنن ابن ماجه ، لمحمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني ، ت : محمد فؤاد عبد الباقي ٧٨/١ رقم (٢١٥) دار الفكر (بيروت) .

طيب وطعمها مر ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن مثل الحنظلة : لا ريح لها وطعمها مر[1] " .

– وما روته السيدة عائشة – رضى الله عنها – أن رسول الله – ﷺ– قال: "الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة ، والذي يقرأ القرآن ويتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران[2]".

وغير ذلك من الأحاديث والآثار والأقوال التي تبرز وتوضح أهمية القرآن الكريم وفضله .

(١) صحيح البخاري ، ت : محمد زهير بن ناصر الناصر ٩ / ٥٨ – دار طوق النجاة، ط : ١ ١٤٢٢هـ ، وصحيح مسلم، ت: محمد فؤاد عبد الباقي رقم ٥٤٩/١ (٢٤٣) باب فضيلة حافظ القرآن – دار إحياء التراث العربي – بيروت .

(٢) صحيح مسلم ٥٤٩/١ رقم (٢٤٤) باب : فضل الماهر بالقرآن .

تعريف السياق تعريفه ، وأهميته ، وأنواعه

السياق في اللغة:

السياق مصدر من الفعل (سَوَقَ) ؛ فأصل (السياق) : (السِواق)، قُلِبَتِ الْوَاوُ يَاءً لِكَسْرَةِ السِّينِ[١] . "والسّياقُ النَّزْعُ[٢]".

وورد في تهذيب اللغة : " والسّياق: المَهْر. وَقَالَ اللَّيْث: السُّوقَة مِن النَّاس والجميع السُّوَقُ: أوساطُهم. وَقَالَ غَيره: السُّوقة بِمَنْزِلَة الرَّعيَّة الَّتِي يَسُوسُها الملك سُمُّوا سوقةً لأنَّ الْمُلُوك يسوقونهم فينساقون لَهُم، وَيُقَال للْوَاحِد سُوقة وللجماعة سُوقة، ويُجمع السُّوقة سُوَقاً[٣]".

وقال ابن الأثير : والْمُسَاوَقَةُ : المُتَابَعة، كأنَّ بعضَها يَسُوقُ بَعْضًا[٤]".

وورد في المعجم الوسيط : "(السِّيَاق) الْمهْر وَسِيَاق الْكَلَام تتابعه وأسلوبه الَّذِي يجْرِي عَلَيْهِ والنزع يُقَال هُوَ فِي السِّيَاق الاحتضار[٥]" .

فالسياق في اللغة يدل على التتابع والتسلسل ، ومنه أخذ معنى السياق في الاصطلاح ليدل على تتابع الكلام وأسلوبه الذى يجرى عليه .

---

(١) ينظر : لسان العرب ١٠/ ١٦٧ (س و ق) .

(٢) العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي (المتوفي: ١٧٠هـ) تحقيق: د. مهدي المخزومي ، د. إبراهيم السامرائي ١/ ٣٥٧ – دار ومكتبة الهلال (س و ق) .

(٣) تهذيب اللغة ٩/ ١٨٤ (س و ق) .

(٤) النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير (المتوفي: ٦٠٦هـ) تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي ٢/ ٤٢٣ – المكتبة العلمية (بيروت) ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م (س و ق) .

(٥) المعجم الوسيط ، لمجموعة من أعضاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وهم: إبراهيم مصطفي، وأحمد الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد النجار ١/ ٤٦٥ دار الدعوة (س و ق).

السياق في الاصطلاح :

هو " بناء كامل من فقرات مترابطة في علاقته بأي جزء من أجزائه أو تلك الأجزاء التي تسبق أو تتلو مباشرة فقرة أو كلمة معينة[١] ".

وعرفه ابن دقيق العيد بقوله : ":أما السياق والقرائن، فإنها الدالة على مراد المتكلم من كلامه"[٢] .

وقال السرخسي ":القرينة التي تقترن باللفظ من المتكلم، وتكون فرقاً فيما بين النص والظاهر هي السياق، بمعنى الغرض الذي سيق لأجله الكلام[٣]" .

وقال السلجماسي ":ربط القول بغرض مقصود على القصد الأول[٤]" .

فالسياق يعنى أن للكلمة معاني معجمية كثيرة يتحدد المراد منها وفق ما سبقها وما يتلوها من كلمات وجمل ، أو طبقا لأحوال المتكلمين والزمان والمكان الذي قيلت فيه ؛ " فالسياق يعتمد على تجميع الكلمات بعضها مع بعضها الآخر ، وترابط أجزائها وتتابعها بحيث توحى إلى معنى وهي مجتمعة في النص ؛ فهو يقوم بتحديد العلاقات السياقية التي تربط الكلمات في التركيب ، وتكتسب قيمتها من مجاورتها الكلمة السابقة واللاحقة في أي تركيب أو نص ، ويحدد السياق نوع هذه العلاقة[٥]".**والسياق له "مسميات عدة** منها: سياق الكلام، وسياق النظم، واللفظ الواضح فيما سيق له ...[٦]".

---

(١) معجم المصطلحات الأدبية / إبراهيم فتحي صـ ٢١٠ المؤسسة العربية للناشرين المتحدين (صفاقس) ١٩٨٦م .

(٢) إحكام الأحكام ٢١/٢.

(٣) أصول الفقه ، للسرخسي– ت : أبو الوفا الأفغاني (١٦٤/١)دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٧٣.

(٤) المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع – ت : علال الغازي صـ : ١٨٨ – مكتبة المعارف ، الرباط ، ١٩٨٠ .

(٥) السياق أنماطه وتطبيقاته في التعبير القرآني م. د. خليل خلف بشير العامري صـ ٣٧ مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية المجلد (٩) العدد (٢) ٢٠١٠م جامعة البصرة– كلية الآداب.

(٦) دلالة السياق ، للحضرمي أحمد الطلبة صـ ٥ / مركز سلف للبحوث والدراسات .

الفرق بين المعنى المعجمي والمعنى السياقي

المعنى المعجمي : هو معاني المفردات المذكورة في المعاجم المختلفة ، ويطلق عليه المعنى المركزي أو الأصلي أو الأساسي للكلمة .

المعنى السياقي : هو المعنى المستنبط من خلال السياق اللفظي والمعنوي أي من خلال العلاقات اللفظية بين الكلمات في نظم الكلام أو العلاقات المعنوية والظروف والملابسات الخارجية المتعلقة بالعملية الكلامية . ويطلق عليه المعنى الفرعي أو الهامشي أو الإضافي أو ظلال المعنى [1].

فوائد السياق :

١ – تحديد المعنى المقصود من الكلام ؛ مما يؤدى إلى إزالة اللبس والغموض الذى يكتنف الألفاظ التي تحمل أكثر من معنى ، كتحديد معنى كلمة (السائل) في العبارات الآتية :

- قولـــــه تعـــــالى: ﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ۝٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾[2] .
- الدواء السائل أسلم للأطفال .
- سائل العلياء عنا .

فمن خلال السياق تبين أن المراد بالسائل في الآية القرآنية : اسم فاعل من (سألَ) وفي العبارة الثانية : اسم فاعل من (سَالَ) ، وفي العبارة الأخيرة : فعل أمر من سأل .

٢ – استنباط الأحكام الفقهية والترجيح بينها ، من ذلك استدلال الشافعي على وجوب الترتيب في الوضوء بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ ﴾ [المائدة: ٦] فقال: إن ذكر الممسوح بين المغسولات ليس له معنى إلا إفادة الترتيب .

---

(١) ينظر : السِّيَاقِ فِي الدِّرَاسَاتِ البَلاغِيَةِ وَالأُصُولِيَّةِ ، أُسَامَة عَبْد العَزِيزِ جَابَ الله صـ ٥ – كلية الآداب – جامعة كفر الشيخ .

(٢) سورة : المعارج / ٢٤ ، ٢٥ .

٣ – يمنع السياق من إنشاء جملٍ مستقيمة نحويًّا ولا معنى لها ، كقولنا : تأكل التفاحة الولد.

٣ – للسياق دور كبير في مجال القانون ؛ فمن خلال السياق يستطيع المتخصص في مجال القانون أن يفهم المراد من الكلمات والمقصود منها في النصوص القانونية[١] .

السياق القرآني

السياق القرآني يندرج تحت مفهوم السياق العام ، أي أنه جزء منه ، لكن للسياق القرآني مكونات خاصة به ، وهي :

١– أغراض القرآن ومقاصده العظمى .

٢– غرض السورة .

٣– غرض الآيات الواردة في موضوع واحد .

٤– غرض الآية .

وهذه الأغراض متآلفة مترابطة متكاملة لا يوجد بينها انفصال أو تباعد[٢] .

أنواع السياق :

السياق اللغوي (اللفظي)

عرّفه مراد عبادة بقوله: "هو شبكة العلاقات التي تربط بين مجموع العناصر اللغوية المتتابعة فيما بينها بترتيب معين، أو هو تلك المنظومة اللغوية التي يرد فيها الحدث الكلامي. وهذا السياق يساعد اللفظة على التحلي بالمعنى الذي يريده المتكلم ، فهذا التركيب المكون من ألفاظ و عبارات سابقة للكلمة و لاحقة أو النص الذي وردت فيه إنما هو حلية تلبسها الكلمة أو اللفظة حتى تأخذ المعنى المعتمل في صدر قائلها[٣] .

ويمثل ردة الله بن ردة السياق اللغوي بأنه كـ"الأرض الخصبة التي تبذر فيها المباني اللفظية بنوعيها (الوظيفية والمعجمية)؛ لأن يؤدي دورا مزدوجا: " إذ يحصر مجال التأويلات،

---

(١) ينظر : أنواع السياق في القرآن الكريم د. أمال السيد محمد الأمين صـ ٨١ بحث في مجلة جامعة الناصر ، العدد السابع ، يناير ٢٠١٦م (صنعاء) ، ودلالة السياق ، للحضرمي أحمد الطلبة صـ ٢١ .

(٢) ينظر : أنواع السياق في القرآن الكريم د. أمال السيد محمد الأمين صـ ٨٧ .

(٣) أثر السياق في تأويل آيات الجهاد ، لمراد عبادة صـ ١٤ جامعة الشيخ العربي التبسي / كلية الآداب واللغات الأجنبية / قسم اللغة والأدب العربي .

ويدعم Dell Hymes السياق كما يرى هايمز التأويل المقصود، ولذلك قال عنه أولمان إنه "الحارس الأمين للمعنى[١]" .

فالسياق اللغوي أو اللفظي يهتم بالنَّظم اللفظي للكلمة، وموقعها منه، ويضع في الاعتبار الكلماتِ والجُمَلَ السابقة واللاحقة للكلمة .

وهذا السياق يتطلب النظر إلى النص وتحليله وفقًا لمستويات اللغة الأربعة : الصوتية ، والصرفية ، والنحوية ، والدلالية ، وكذلك الوقوف على القرائن اللغوية المختلفة وأثرها في إنتاج الدلالة السياقية[٢] .

السياق الحالي أو المقامي (السياق غير اللغوي) :

ويراد به الأحوال والظروف والملابسات الاجتماعية والثقافية والنفسية التي تحيط بالنص ، سواء كانت تتعلق بالمتكلم أو السامع (المخاطب) أو المكان في أثناء الكلام فتكسبها هذه الظروف وتعطيها الدلالة الخاصة الناتجة عن هذا السياق[٣] .

ويندرج تحته ثلاثة أنواع ، هي :

١ – سياق الموقف

ويطلق عليه سياق المقام ، ويقصد به بعبارة موجزة هي عبارة البلاغيين : لكل مقام مقال ؛ بمعنى مراعاة بيئة المتكلم ، وما يتعلق بالكلام من حقيقة أو مجاز ، مع مراعاة الظروف والأحوال الاجتماعية المصاحبة للحدث الكلامي ، ونوع المناسبة التي قيل فيها الكلام سواء كانت حزنًا أو ألمًا أو فرحًا أو إغراءً[٤] .

---

(١) دلالة السياق ، لردة الله بن ردة صـ ١٠٣ مكتبة الملك فهد الوطنية ،مكة المكرمة ، المملكة العربية السعودية، ط ١ ١٤٢٣هـ .

(٢) ينظر : الدلالة السياقية في سورة الإسراء ، لسمير داود سلمان صـ ٢٣٠ ، ٢٣١ جامعة البصرة ، كلية الآداب .

(٣) ينظر : الدلالة السياقية في سورة الإسراء صـ ٢٣١ ، ٢٣٢ .

(٤) ينظر : دلالة السياق في فهم النص سورة يوسف أنموذجًا ، لعبد الفتاح خمار صـ ٢١، ٢٢ جامعة الشيخ العربي التبسي / كلية الآداب واللغات الأجنبية / قسم اللغة والأدب العربي ٢٠١٤/٢٠١٥م .

وله ثلاثة عناصر :

١- شخصية المتكلم والسامع ، والمشاهد للكلام .

٢- العوامل والظروف والملابسات الاجتماعية المصاحبة للحدث الكلامي .

٣- الأثر الكلامي واللغوي على المتخاطبين ، أي النتيجة المترتبة على الكلام ، والمتمثلة في الإقناع ، أو التعبير عن الفرح ، أو الشعور بالألم أو الحزن[١] .

٢ – السياق الثقافي :

عرّفه مراد عبادة بقوله :"هو السياق المرتبط بالمحيط الثقافي والاجتماعي وما يميزه عن غيره من المعجم المستخدم و الحقل الدلالي الخاص بكل فئة من الناس ويسمى ذلك أيضا بلغة الاختصاص أو التخصص و هي تلك الألفاظ المستخدمة بين شريحة من المجتمع مثل لغة النبلاء و لغة العامة قديما أو لغة الحرفيين و أصحاب المهن و لغة الأطباء و لغة الفلاحين ... فقد تواجه ألفاظا و عبارات لا تفهمها إذا تكلمت مع مزارع أو طبيب[٢] ". فعلى سبيل المثال كلمة (الجذر) لها دلالات مختلفة ؛ فهي عند الرياضيين لها معنى غير المعنى المعروف عند اللغويين غير المعنى المعروف عن الفلاحين وهكذا تتنوع دلالة اللفظ حسب المستوى الثقافي والتعليمي للمتكلمين.

٣ – السياق النفسي (العاطفي) :

ويقصد به : "الحالة النفسية التي يكون عليها المتكلم أو المتلقي (السامع) وما يصاحبها من انفعالات تجعل الموقف الكلامي مشحونا بشحنات عاطفية مختلفة و متنوعة كالحزن ، الفرح ، الغضب، الكره ، المحبة الخوف و الفزع ، الصدق و الكذب أو الطمأنينة و الهدوء ، و هو (السياق الذي يتولى الكشف عن المعنى الوجداني و الذي يختلف من شخص إلى آخر) .

إذن لا يستطيع المتكلم التخلص من هذا السياق مهما كان بارعا و مهما أراد إخفاء ذلك و لم يصرح به ، فهو يظهر على شكل علامات على الوجه و باقي أعضاء الجسم كالصفرة أو الحمرة أو الارتعاش أو البكاء إلى غير ذلك من حالات الانفعال المختلفة ، و الشأن سيان بين المتكلم و المتلقي فتفاعلك مع الكلام أو اللفظة ليس نفسه

---

(١) ينظر : دلالة السياق في فهم النص سورة يوسف أنموذجًا صـ ٢١ ، ٢٢

(٢) أثر السياق في تأويل آيات الجهاد صـ ١٧ .

و أنت فرح أو أنت حزين . فالإنسان عبارة عن مجموعة من التفاعلات الكيميائية التي تتحكم في جميع حالات الجسم و العقل[1]" .

سياق المفردات والكلمات القرآنية

ترتبط الكلمة بالتركيب الذى توجد فيه ارتباطًا وثيقا ؛ فالكلمات ليست معاني معجمية محددة عارية عن السياق ؛ أي : الظلال والإيحاءات التي تكتسبها من خلال مكان وجودها في الكلام ، وما يسبقها وما يتلوها من كلمات ، وكذلك من خلال اكتسابها الصور والمشاعر التي أنتجتها التجربة والمواقف الإنسانية المختلفة .

وأصحاب المعاجم قاموا برصد المعاني المعجمية الناجمة عن استعمالات الكلمات في السياقات المختلفة ؛ فالكلمات داخل النص دائمة التفاعل مع نسقها اللغوي ولا يحدّ حركتها زمان ولا مكان ، فما يوجد في المعاجم ما هو إلا رصد لمعاني الكلمات في الاستعمالات المختلفة ، إضافة إلى المعنى المتواضع عليه أو المعنى المركزي (الأصلي) .

والسياق يضفي ظلالًا جديدة على معاني الكلمات ومن هنا تصبح الكلمة محملة بأكثر من معنى ، وهو ما يعرف بظاهرة المشترك اللفظي. والسياق له الدور الأكبر في تحديد المعنى المراد من الكلمات في المواطن المختلفة .

ويلاحظ من خلال ما سبق يتضح أن الألفاظ إنما تكتسب دلالاتها بحسب السياق ، وأنه من الصعب جدًّا تفسير القرآن لفظة عن بلفظة مجردة السياق[2].

---

(١) أثر السياق في تأويل آيات الجهاد صـ ١٧ .

(٢) ينظر : السياق وأثره في المعنى د. المهدى إبراهيم الغويل ٥٧ ، ٥٨ أكاديمية الفكر الجماهيري ، بنغازي (ليبيا) ٢٠١٠م ، ونظرية اللغة والجمال في النقد العربي د.تامر سلوم صـ ٣١٢ دار الحوار ، اللاذقية (سوريا) ط ١ ١٩٨٣م .

الدراسة التطبيقية للسياق في الآيات القرآنية الوارد فيها لفظ الإنسان وصفاته

الآية الأولى

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ(١)(١) ضَعِيفٗا ﴾ [النساء /٢٨] .

---

(١) (أل) المُعَرّفة؛ "أي: التي تفيد التعريف".

وهي نوعان؛: (أل) العهدية "، و "(أل) الجنسية

فأما (أل) العهدية" فهي التي تدخل على النكرة فتكسبها درجة من التعريف تجعل مدلولها يدل على فردٍ معين بعد أن كان مبهمًا شائعًا .

وأنواع العهد ثلاثة: "ذِكْرِيّ"، وذهني أو علميّ"، و"حضوري".

فهي إما أن تكون للعهد الذِّكريّ وهي ما سبقَ لمصحوبها ذكرٌ في الكلام، كقولكَ : "جاءني ضيفٌ، فأكرمت الضيفَ" أي الضيف المذكور.

وإما أن تكون للعهد الحُضوريّ وهو ما يكونُ مصحوبُها حاضراً، مثل "جئتُ اليومَ"، أي اليومَ الحاضرَ الذي نحن فيه.

وإما أَن تكون للعهد الذهنيّ وهي ما يكونُ مصحوبُها معهوداً ذهناً، فينصرفُ الفكرُ إليه بمجرَّدِ النُّطقِ به، مثل "حضرَ الأميرُ"، وكأن يكون بينك وبينَ مُخاطَبك عهدٌ برجلٍ، فتقول حضرَ الرجلُ"، أي الرجلُ المعهودُ ذِهناً بينك وبين من تخاطبه.

وأما: (أل) الجنسية فهي الداخلة على نكرة تفيد معنى الجنس المحض من غير أن تفيد العهد. ومثالها؛ النجم مضيء بذاته، والكوكب يستمد الضوء من غيره ... فالنجم، والكوكب، والضوء، فأفادت (أل) في هذه الأمثلة معنى الجنس ، وأكسبتها التعريف .

[ينظر : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، لابن هشام المصري (ت ٧٦١هـ) تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي ١/ ١٧٩ . دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، والنحو الوافي ، لعباس حسن ١/ ٤٢٣ ،٤٢٦ – دار المعارف – ط : ١٥] .

ولـ(أل) الجنسية أنواع ، هي:

١ – التي تدخل على اسم الجنس فتجعله يفيد الاستغراق والشمول والإحاطة بجميع أفراده إحاطة على سبيل الحقيقة ، وهي التي يمكن أن يحل محلها كلمة "كل" فلا يترتب على ذلك تغير المعنى، وذلك مثل : النهر عذب، النبات حي، الإنسان مفكر ...=

=فلو قلنا: كل نبات حي، كل إنسان مفكر، ... لبقي المعنى على حالته الأولى ولم يتغير .

٢- التي تدخل على اسم الجنس ليدل على الاستغراق مجازا ، لشمول ويدل على إحاطة صفات الجنس على سبيل المبالغة ، مثل : أنت الرجل ، أي : أنت جامع لخصائص جميع الرجال وكمالاتهم .

٣- التي تدل لبيان حقيقة وماهية اسم الجنس ، وضابطها : أنها التي لا يمكن أن تحل محلها (كل) ؛ فهي لبيان حقيقة الجنس القائمة في الذهن، ومادته التي تكوّن منها في العقل بغير نظر إلى ما ينطبق عليه من أفراد قليلة أو كثيرة، نحو: الحديد أصلب من الذهب، الذهب أنفس من النحاس. تريد: أن حقيقة الحديد "أي: مادته وطبيعته" أصلب من حقيقة الذهب .

[النحو الوافي ١/ ٤٢٦ ، ٤٢٧ بتصرف .]

(١) (الإنسان) اشتقاقه ، ومعناه :

"(الإنْسَانُ) مِنَ الناس اسم جِنَسٍ يقع على الذَّكَرِ والأُنثْى ، والواحد والجمع" . [المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، لأحمد بن محمد بن علي الفيومي (المتوفي: نحو ٧٧٠هـ) ١/ ٢٦ (أ ن س) المكتبة العلمية (بيروت) .]

وقد اختلف العلماء في مأخذ وأصل كلمة (إنسان) ومن ثم الاختلاف في وزنه الصرفي ، ومعناه ؛ فذهب الكوفيون إلى أن أصله : (إنسيان) على زنة (إفعلان) من النسيان ، فلمّا كثر في كلامهم وجرى على ألسنتهم الأصل حذفوا منه الياء التي هي اللام لكثرته في استعمالهم . وعلى هذا يكون وزنه (إفعان) .

واحتجَّ الكوفيون على أن (إنسان) مأخوذ من النسيان : أنهم قالوا في تصغيره "أُنَيْسِيَان" فردوا الياء في حال التصغير؛ لأن الاسم لا يكثر استعماله مصغرا كثرة استعماله مكبرا، والتصغير يرد الأشياء إلى أصولها .

أما البصريون فيرون أن أصل كلمة (الإنسان) : الإنْس ، أو الأُنس ؛ فالهمزة أصلّ ، ثم زيدت النون في آخر الكلمة ؛ وعلى هذا يكون وزنه (فعلان) .

واحتج البصريون بأن (إنسان) مأخوذ من الإنس، وسمي الإنسان إنسا لظهورهم، كما سمي الجن جنا لاجتنانهم أي استتارهم، ويقال "آنست الشيء" إذا أبصرته . ويجوز أن يكون سمي الإنس إنسًا لأن هذا الجنس يستأنس به ويوجد فيه من الأنس وعدم=

السياق العام للسورة

تسمى سورة النساء بسورة الإنسانية، ففيها بيَّنَ الله – عزَّ وجل – العلاقات الإنسانية التي تربط الناس بعضهم ببعض، وما ينبغي أن تتبعه المجتمعات الفاضلة في جعل العلاقة الإنسانية الأصيلة هي أساس التعامل بينهم ، وفيها أيضًا بيان للحدود التي حدها الله – تعالى – لعلاج الانحراف الذي ينحرف به ذوو الأهواء من الآحاد والجماعات(١).

السياق العام للآية :

=الاستيحاش ما لا يوجد في غيره من سائر الحيوان، وعلى كلا الوجهين فالألف والنون فيه زائدتان؛ فلهذا قيل : إن وزنه (فِعْلَان) .

وهذه الأدلة ترجح كون (الإنسان) مشتق من (الإنس) أو (الأُنس) .

وقد قام البصريون بتفنيد أدلة الكوفيين والردّ عليها ؛ فردُّوا على دليلهم الأول بأن الأصل في إنسان إنسيان، إلا أنهم لما كثر في كلامهم حذفوا منه الياء لكثرة الاستعمال، كقولهم أيش في أي شيء ، وعم صباحا في أنعم صباحا. فالجواب : أن هذا باطل؛ لأنه لو كان الأمر كما زعموا لجاز أن يؤتى به على الأصل، كما يجوز أن يقال: أي شيء، وأنْعَمْ صباحا ؛ فلما لم يأت ذلك في شيء من كلامهم في حالة اختيار ولا ضرورة دل على بطلان ما ذهبوا إليه.

وأما قولهم "إنهم قالوا في تصغيره أنيسيان" فالجواب : إنما زيدت هذه الياء في أنيسيان على خلاف القياس، كما زيدت في قولهم "ليبلية" في تصغير ليلة، و"عشيشية" تصغير عشية، وكقولهم على خلاف القياس "مغيربان" في تصغير مغرب ، إلى غير ذلك مما جاء على خلا ف القياس؛ فلا يكون فيه حجة . [الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين ، لأبي البركات الأنباري (المتوفى: ٥٧٧هـ) ٢/ ٦٦٧-٦٦٩ بتصرف – المكتبة العصرية – ط : ١ : ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م .]

=وأرى – والله أعلم – أنه يجوز أن يكون (الإنسان) من النسيان ؛ على معنى أنه عُهِدَ إلى آدم – عليه السلام- فنسي . قال ابن عباس : " إنما سمي إنسانا لأنه عهد إليه فنسي"، أو لأنه كثير النسيان في كل الأمور .

ويجوز أن يكون من (الإنس) أو (الأنس) على معنى ظهور هذا الإنسان عكس الجن فهم مستترون ، أو على معنى أن هذا الجنس يستأنس به فهو اجتماعي بطبعه.

(١) زهرة التفاسير ، محمد بن أحمد بن مصطفي بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفي: ١٣٩٤هـ) ٣/ ١٥٦٣ بتصرف – دار الفكر العربي .

بعد أن بين الله– عزّ وجل– للمؤمنين ما أحل لهم وما حرم عليهم من النساء، بين أنه في حالة عجز الإنسان المؤمن عن نكاح الحرائر العفيفات المؤمنات. فإن الله قد رخّصَ له أن يتزوج من الإماء اللاتي يملكهن المؤمنون. والله– عزّ وجل– وحده هو الذي يعلم حقائق الأمور وسرائرها، فنحن لنا الظاهر والله – تعالى – يتولى السرائر ، فمن كانت مؤمنة في الظاهر حل لنا نكاحها(١).

المخاطِب : هو الله تعالى .

المخاطَب : الإنسان .

موضوع الخطاب :"ذكر الأشياء التي لا ينبغي أن تكون في الحياة الاجتماعية. كما يذكر المحرمات من النساء. وفي سياقه يذكر العلاقة الزوجية والزواج، والبديل عن زواج الحرائر(٢)".

المراد بالإنسان : جميع بنى البشر مسلمين وغير مسلمين .

ونوع السياق هنا : سياق لغوى ومقامي (حالي) فكون (ال) للاستغراق يدل على أن المراد من الإنسان هنا : جميع بنى البشر مسلمين وغير مسلمين . وهذا سياق لغوى .

وكذلك سياق الآية الكريمة – المذكور آنفًا – يدل على أن المراد بالإنسان هنا : جميع بنى البشر مسلمين وغير مسلمين . وهذا سياق مقامي .

فالله خلق "كلّ فرد من أفراد جنس الإنسان ضعيفاً، والواقع يشهد لإرادة هذا الاستغراق(٣)".

ويحتمل أن يكون ضعف الإنسان المسلم وغير المسلم من باب كونه ضعيفًا "في نفسه، يمل من الطاعات والعبادات التي جعل اللَّه عليه، ليس كالملائكة؛ حيث وصفهم أنهم

---

(١) الأساس في التفسير ، لسعيد حوّى (المتوفي ١٤٠٩ هـ) ٢/ ١٠٣٦ بتصرف – دار السلام (القاهرة) ط : ١٤٢٤هـ .

(٢) الأساس في التفسير ٢/ ١٠٢٣ .

(٣) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها ، لعبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفي: ١٤٢٥هـ) صـ : ٤٣٨ – دار القلم، دمشق – ط : ١ : ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م .

لا يفترون ولا يستحسرون ، ﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ ، ولا كذلك بنو آدم[١]".

وقيل : المراد بالإنسان هنا : الكافر.

قال الماتريدي :""يحتمل: أن يكون أراد به الكافر؛ كقوله – تعالى –: ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴾[٢] ، وكقوله – تعالى –: ﴿ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴾[٣] ، وقد قيل: كل موضع ذكر فيه الإنسان فهو في كافر من ضعفه يضيق صدره، ويمل نفسه بطول الترك في النعم حتى يضجر فيها[٤]".

﴿ ضَعِيفًا ﴾

(الضَّعْفُ) يدل في المعاجم العربية على معانٍ كثيرة ، منها : ضد الْقُوَّة ، عاجز واهن ، ذليل حقير ، استمالة الهوى ، الزيادة على أصل الشَّيء فيُجعلَ مثلين أو أكثر[٥] .

و(سياق) لفظ (الضعف) الذي وُصف به الإنسان في هذه الآية الكريمة جاء لفظًا عامًا، يشمل الرجل والمرأة، ويشمل ضعف الإنسان تجاه الغريزة الجنسية وغيرها من الغرائز، كما أن الإنسان ضعيفٌ من الناحية الجسديّة والعقليّة والنفسيّة، وخاصّةً في مرحلة الشيخوخة، وعند التقدّم في السنّ، كما يكون ضعيفاً في المرض والتعب ، بيد أن المفسِّرين –اعتمادًا على السياق– ذكروا أن المراد بـ (الضعف) هنا ضعف الرجل أمام المرأة، ورووا

(١) تفسير الماتريدي ، لأبي منصور الماتريدي (المتوفي: ٣٣٣هـ) ت : د. مجدي باسلوم ٣/ ١٣٨ – دار الكتب العلمية (بيروت) ط : ١ : ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م .

(٢) سورة : المعارج / ١٩ .

(٣) سورة : المعارج / ٢٠ .

(٤) تفسير الماتريدي ٣/ ١٣٨ .

(٥) ينظر : مقاييس اللغة ، لابن فارس – تحقيق : عبد السلام محمد هارون ٣/ ٣٦٢ – دار الفكر ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ، والقاموس المحيط ، للفيروز أبادى (المتوفي: ٨١٧هـ) صـ : ٨٢٩ – مؤسسة الرسالة (بيروت) الطبعة : الثامنة ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م ، وتاج العروس ، لمرتضى الزبيدي (المتوفي: ١٢٠٥هـ) ٢٤/ ٤٩ – دار الهداية ، ومعجم اللغة العربية المعاصرة د. أحمد مختار عمر (المتوفي: ١٤٢٤هـ) ٢/ ١٣٦٣ : (ض ع ف) عالم الكتب – الطبعة : الأولى ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.

في ذلك حديثًا عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قرأ ﴿ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ ضَعِيفًا ﴾ قال: "أي لا يصبِر عن النساء". ورووا أيضًا عن طاووس وغيره، أن الآية واردة في أمر النساء.

والذى يرجح أن المراد بالضعف هنا هو ضعف الرجل أمام المرأة وقلة الصبر عن النساء السياق اللغوي ، والذى يتمثل في ذكر لفظ الشهوات في قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾[1] ، بالإضافة إلى سياق الحال الذى يدل على أن الإنسان لا يكون في شيء أضعف منه في أمر النساء.

ومع هذا لا يوجد مانع من أن يكون المراد مطلق الضعف . قال الخازن : "وقوله تعالى : ﴿ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ ضَعِيفًا ﴾ يعني في قلة الصبر عن النساء فلا صبر له عنهن وقيل إنه لضعفه يستميله هواه فهو ضعيف العزم عن قهر الهوى وقيل هو ضعيف في أصل الخلقة لأنه خلق من ماء مهين[2]".

وقال ابن جزي : "﴿ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ ضَعِيفًا ﴾ قيل : معناه لا يصبر على النساء ، وذلك مقتضى سياق الكلام ، واللفظ أعم من ذلك[3]".

تعليق :

---

(١) سورة : النساء / ٢٧ .

(٢) تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل ، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي ١/ ٥١٢ دار الفكر (بيروت) ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفي: ٧٤١هـ) ت : د/ عبد الله الخالدي صـ : ٢٥٤ – شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم (بيروت) ط : ١ : ١٤١٦هـ. ويراجع : الكشف والبيان، للثعلبي ٣/ ٢٩١ – دار إحياء التراث العربي (بيروت) ط : ١: ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م ، وزاد المسير في علم التفسير ، لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ٢/ ٦٠ – المكتب الإسلامي (بيروت) ط : ٣ : ١٤٠٤هـ ، والبحر المديد في تفسير القرآن المجيد ، لأبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة (المتوفي: ١٢٢٤هـ) ت : أحمد عبد الله القرشي رسلان ٢/ ٤٩ – الناشر: الدكتور حسن عباس زكي (القاهرة) ، والتحرير والتنوير ، للطاهر بن عاشور التونسي (المتوفي : ١٣٩٣هـ) ٢٧/ ١٢٤ – الدار التونسية للنشر – ١٩٨٤م ، ومفردات ألفاظ القرآن ، للراغب الأصفهاني ٢/ ١١ ، ١٢ – دار القلم (دمشق) .

قد يبدو من الوهلة الأولى أن الإنسان قويًّا مخيفًا مشتملًا على كل أشكال التعقيد مع أنه في الحقيقة ضعيفٌ جسديًا ونفسيًّا وعاطفيًّا ، وهذه الآية القرآنية لخصّت لنا جوهر الإنسان ، وأنه ضعيفٌ في كل جوانب شخصيته لا يتحمل الطاعات والعبادات التي كلّفه الله بها ، ويتجلى ضعفه أكثر وأكثر في عجزه عن دفع مشاعره ، ووساوسه التي تلمُّ به ، وعليه فينبغي للإنسان أن يدرك كنه نفسه وحقيقتها وقدراتها ، وأن يرجع إلى الله – ﷻ– فيأتمر بأوامره ، ويتجنب نواهيه(١).

وهذه الآية وإن وردت في سياق جواز وإباحة نكاح الإماء في حالة العجز عن نكاح الحرائر إلا أن كثيرًا من المفسّرين صرّحوا بأن المراد عموم التّخفيف وإرادة التيسير ورفع المشقّة عن الأمة .

قال الشيخ / محمد أبو زهرة : " وليس الضعف المذكور هو الضعف البدني فقط ، بل يشمل الضعف النفسي ، فالتكليفات يلاحظ فيها ذلك الضعف ، ولذلك كانت كل التكليفات يسهل تعويد النفس عليها ، ولا يصعب احتمالها والمداومة عليها ، وقد حث الإسلام على السهل من الأعمال التي تمكن المداومة عليها ، ولذا قال عليه الصلاة والسلام : "أحب الاعمال إلى الله أدومها وإن قل"، ولضعف الإنسان أبيح له من الشهوات ما لا يجعله عبدا لشهوته ، بل يكون سيدا عليها ، وإن أبرز مظاهر الضعف الإنساني يكون أمام النساء ، ولذا أبيح له مثنى وثلاث ورباع ، من غير بغى ولا ظلم(٢)".

(١) ينظر : في إشراقة آية ، لعبد الكريم بكار صـ ٦٧ دار وجوه للنشر والتوزيع (الرياض) ط٢ ١٤٣١هـ .

(٢) زهرة التفاسير صـ : ١٦٥٤ .

الآية الثانية

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ۝ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾[1].

السياق العام للسورة :

سياق هذه السورة الكريمة يدور حول الكثير "من أصول الإسلام، وهي التوحيد ، والنبوة ، والبعث ، والحساب ، والجزاء.

وفُصِّلَ فيها ما أُجْمِلَ في سابقتها من قصص الرسل – عليهم السلام –وهي مناسبة لها في فاتحته[2]" .

السياق العام للآية :

يبين السعدي معنى هذه الآية الكريمة ويوضح سياقها فيقول : "يصف الحق – تبارك وتعالى الإنسان، بأنه جاهل ظالم ؛ وذلك لأن الله إذا أذاقه رحمة ونعمة كالصحة والرزق، والأولاد، ونحو ذلك، ثم نزعها منه، فإنه يستسلم لليأس، وينقاد للقنوط، فلا يرجو ثواب الله، ولا يخطر بباله أن الله سيردها أو مثلها، أو خيرا منها عليه. وأنه إذا أذاقه رحمة من بعد ضراء مسته، فأنه يفرح ، ويظن أنه سيدوم له ذلك الخير ، ويحمله ذلك على الشر والبطر والإعجاب بالنفس، والتكبر على الخلق، واحتقارهم وازدرائهم، وأي عيب أشد من هذا؟!![3]".

موضوع الخطاب : طبيعة النفس الإنسانية في حالتَي النَّعماء والضرَّاء .

---

(١) سورة : هود / ٩ ، ١٠ .

(٢) تفسير المراغي ، لأحمد بن مصطفي المراغي (المتوفي: ١٣٧١هـ) ١١/ ١٦٧ – مطبعة مصطفي البابي الحلبي – ط : ١ : ١٣٦٥هـ – ١٩٤٦م .

(٣) تفسير السعدي ، لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفي: ١٣٧٦هـ) ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق صـ : ٣٧٨ – مؤسسة الرسالة – ط : ١ : ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م .

المراد بالإنسان: يرى جمهور المفسرين أن المراد بالإنسان هنا: مطلق الإنسان، أي جميع الناس ، المسلم والكافر؛ وقد دلَّ على ذلك السياق اللغوي ، وهو الاستثناء في قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ (١). وقيل : المراد به الكافر فقط ؛ وهذا مستفاد من السياق المقامي ، واستدلَّ القائلون بهذا الرأي بأن الصِّفاتُ المذكورة في الإنسان هنا لا تليقُ إلاَّ بالكافر .

"وَقِيلَ التَّعْرِيفُ فِي الْإِنْسانَ لِلْعَهْدِ مُرَادٌ مِنْهُ إِنْسَانٌ خَاصٌّ، فَرَوَى الْوَاحِدِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ. وَعَنْهُ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ الْمَخْزُومِيّ(٢)" .

وأرجح – والله أعلم – الرأي الأول ؛ وذلك لدلالة السياق اللغوي عليه كما ذكرت ، وكون هذه الآية على نظير وتوافق مع قوله تعالى : ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ (٣) ، وأيضًا لأن مزاج الإنسان مجبول على الضعف والعجز .

قال الرازي : "﴿ **وَلَئِنۡ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ** ﴾ وفيه مسائل :

المسألة الأولى : لفظ {الانسَانَ} في هذه الآية فيه قولان :

القول الأول : أن المراد منه مطلق الإنسان ويدل عليه وجوه : الأول : أنه تعالى استثنى منه قوله : ﴿ إلا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ والاستثناء يخرج من الكلام ما لولاه لدخل ، فثبت أن الإنسان المذكور في هذه الآية داخل فيه المؤمن والكافر ، وذلك يدل على ما قلناه. الثاني : أن هذه الآية موافقة على هذا التقرير لقوله تعالى : ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ (العصر : ١ . ٣) وموافقة أيضاً لقوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ

(١) سورة : هود / ١١ .
(٢) التحرير والتنوير ١٢/ ١٢ .
(٣) سورة : العصر / ١ ، ٢ ، ٣ .

ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ﴾ (المعارج : ١٩ . ٢١) الثالث : أن مزاج الإنسان مجبول على الضعف والعجز. قال ابن جريج في تفسير هذه الآية يا ابن آدم إذا نزلت لك نعمة من الله فأنت كفور ، فإذا نزعت منك فيؤس قنوط.

والقول الثاني : أن المراد منه الكافر ، ويدل عليه وجوه : الأول : ن الأصل في المفرد المحلى بالألف واللام أن يحمل على المعهود السابق لولا المانع ، وههنا لا مانع فوجب حمله عليه / والمعهود السابق هو الكافر المذكور في الآية المتقدمة. الثاني : أن الصفات المذكورة للإنسان في هذه الآية لا تليق إلا بالكافر لأنه وصفه بكونه يؤوسا ، وذلك من صفات الكافر لقوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن ﴾ (يوسف : ٨٧) ووصفه أيضاً بكونه كفوراً ، وهو تصريح بالكفر ووصفه أيضاً بأنه عند وجدان الراحة يقول : ذهب السيئات عني ، وذلك جراءة على الله تعالى ، ووصفه أيضاً بكونه فرحاً و﴿ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ﴾ (القصص : ٧٦) ووصفه أيضاً بكونه فخوراً ، وذلك ليس من صفات أهل الدين. ثم قال الناظرون لهذا القول : وجب أن يحمل الاستثناء المذكور في هذه الآية على الاستثناء المنقطع حتى لا تلزمنا هذه المحذورات[1].

(١) تفسير الفخر الرازي (مفاتيح الغيب) ، لفخر الدين الرازي (المتوفي: ٦٠٦هـ) ٣٢١/١٧، ٣٢٢ – دار إحياء التراث العربي (بيروت) ط : ٣ : ١٤٢٠هـ .
ويراجع : تفسير ابن أبى زمنين المالكي (المتوفي: ٣٩٩هـ) ت : أبو عبد الله حسين بن عكاشة – محمد بن مصطفي الكنز ١/ ٢٨٤ – الفاروق الحديثة (القاهرة) ط : ١ : ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م ، والوجيز ، للواحدي (المتوفي: ٤٦٨هـ) ت : صفوان عدنان داوودي صـ : ٥١٤ – دار القلم (دمشق) ط : ١ : ١٤١٥هـ ، واللباب في علوم الكتاب ، لابن بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفي: ٧٧٥هـ) ت : عادل أحمد عبد الموجود ، وعلي محمد معوض ٤٤٤/١٠ – دار الكتب العلمية (بيروت) ط: ١ : ١٤١٩هـ –١٩٩٨م.

﴿ لَيَـُٔوسٌ ﴾

"اليأس: القنوط نقيض الرجاء[١] ". أو "شعور حادٌّ بتمام استغلاق السبيل نحو خير معيّن يصحبه سخط ويتبعه إعراض تام عن المحاولة[٢]". أو هو "عقم المرأة ، والعلم بالشيء وتبينه[٣]" .

يقال: "يَئِست المرأةُ: عقَمت" ﴿وَٱلَّـٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ﴾ [٤]: اللّائي انقطع حيضُهن لكبر سنّهن أو لعلّة أخرى غير الحمل والرضاع.

• يَئِس فلانٌ: عَلِم وتبيَّن " ﴿أَفَلَمۡ يَاْيۡـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ [٥]﴾ [٦]" .

﴿ كَفُور ﴾

كفور : صيغة مبالغة من الفعل (كَفَرَ) . وأَصلُ الكُفْرِ : السَّتْر.

ويطلق الكفر أيضًا على : سَتْرِ النِّعْمَة خاصَّة، وَفِي مُقَابلَة الْإِيمَان، لأنَّ الكُفرَ فِيهِ سَتْرُ الحقِّ، ونقيض الشُّكْر، وجُحود النِّعْمَة، والعقاب في الجبال ، والعظيم من الجبال ، والجاحد ، وظلمة الليل وسواده[٧] .

وأما (الكفور) فالملاحظ أن المقصود به هنا هو كفر النعمة أو كفر الملة أو كلاهما .

---

(١) المعجم الاشتقاقي المؤصل ، د. محمد حسن جبل ٤/ ٢٣٦٧ ، ٢٣٦٨ – مكتبة الآداب (القاهرة) ٢٠١٠م .

(٢) المحكم والمحيط الأعظم ، لأبى الحسن بن سيده (المتوفي : ٤٥٨هـ) تحقيق : عبد الحميد هنداوي ٨/ ٦٣٢ دار الكتب العلمية (بيروت) ط : ١ : ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م .

(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة ٣/ ٢٥٠٥ .

(٤) سورة : الطلاق / ٤ .

(٥) سورة : الرعد / ٣١ .

(٦) معجم اللغة العربية المعاصرة ٣/ ٢٥٠٥ (ي أ س) .

(٧) ينظر : المحكم والمحيط الأعظم ٧/ ٤ ، وتاج العروس ١٤/ ٥٠، ٥١ ، ٥٣ ، ومعجم متن اللغة ٥/ ٨٣ ، ومعجم اللغة العربية المعاصرة ٣/١٩٤٣ (ك ف ر) .

والمعنى المراد من قوله تعالى : ﴿ لَيَئُوس كَفُورٌ ﴾ والذى يتناسب مع السياق هو أن هذا الإنسان قنوط من رحمة الله تعالى ، كفور بنعمه[١].

قال أبو السعود في تفسيره : " ﴿ لَيَئُوس ﴾ : شديد القنوط من روح الله قطوع رجاءه من عود أمثالها عاجلا أو آجلا بفضل الله تعالى لقلة صبره وعدم توكله عليه وثقته به . ﴿ كَفُور ﴾ : عظيم الكفران لما سلف من النعم ، وفيه إشارة إلى أن النزع إنما كان بسبب كفرانهم بما كانوا يتقلبون فيه من نعم الله – عز و جل – وتأخيره عن وصف يأسهم مع تقدمه عليه لرعاية الفواصل على أن اليأس من فضل الله – سبحانه – وقطع الرجاء عن إضافة أمثاله في العاجل وإيصال أجره في الآجل من باب الكفران للنعمة السالفة أيضا[٢]".

وهذه "صورة صادقة لهذا الإنسان العجول القاصر ، الذي يعيش في لحظته الحاضرة ، ويطغى عليه ما يلابسه؛ فلا يتذكر ما مضى ولا يفكر فيما يلي . فهو يؤوس من الخير ، كفور بالنعمة بمجرد أن تنزع منه . مع أنها كانت هبة من الله له . وهو فرح بطر بمجرد أن يجاوز الشدة إلى الرخاء . لا يحتمل في الشدة ويصبر ويؤمل في رحمة الله ويرجو فرجه؛ ولا يقتصد في فرحه وفخره بالنعمة أو يحسب لزوالها حساباً[٣]".

---

(١) تفسير السمعاني ، لأبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني (المتوفي سنة ٤٨٩هـ) ت : ياسر بن إبراهيم ٤١٦/٢ بتصرف – دار الوطن (الرياض) ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م.

(٢) تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) ، لأبي السعود العمادي (المتوفي: ٩٨٢هـ) ١٩٠/٤ – دار إحياء التراث العربي (بيروت) .
ويراجع : جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري) ، لأبي جعفر الطبري (المتوفي سنة ٣١٠هـ) ت : أحمد محمد شاكر ٢٥٥/١٥ – مؤسسة الرسالة – ط: ١ : ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م ، والهداية الى بلوغ النهاية ، مكي بن أبي طالب ٣٣٥٦/٥ – مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة – ط : ١ : ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م .

(٣) في ظلال القرآن ، للسيد قطب ١٢/ ١٨٦٠ – دار الشروق (القاهرة) ط : ١ : ١٩٧٢م .

﴿ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴾

﴿ فَرِحٌ ﴾

الفرح: نَقِيضُ الحُزْن ، وأن يكون في القلب خفة ، والربح، والكسب، والإفادة ، والأَشَر والبَطَرُ ، والرِّضَا ، وَسُرْعَةِ الْقَبُولِ ، وَحُسْنِ الْجَزَاءِ[1] .

وقد ذكر أبو هلال العسكري أن "الفرح في القرآن ثلاثة أوجه:

الأول: البطر، قال الله: ﴿ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ﴾ **ومثله:** ﴿ إِنَّهُۥ لَفَرِحٞ فَخُورٞ ﴾ **ونظير:** ﴿ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمۡ تَفۡرَحُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾[2] **أي: تبطرون، ولم يرد الفرح المباح مثل الفرح بالولد، وسعة الرزق، والزوجة الحسناء، ونظائر هذا.**

الثاني: الرضى، قال الله: ﴿ وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾[3] **أي: رضوا بها، ومثله:** ﴿كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ﴾[4] **أي: راضون، وقال:** ﴿فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ ﴾[5] **أي: رضوا كذا.**

قال بعض المفسرين، ويجوز عندنا أن يكون أراد الفرح المعروف، بل هو الصحيح، ولا يجوز أن يعدل عما يقتضيه الظاهر إلا لضرورة. فقوله: (فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ) أي: لما جاءتهم الرسل لم تنظروا في أمرهم حق النظر، فخفي عليهم الحق الذي جاءوا به، فاستحقروه. واستحسنوا ما كانوا فيه من الباطل، وفرحوا به وسمي ما كانوا يعتدونه من الجهل علما؛ لأنه كان علما عند أنفسهم.

---

(١) ينظر : لسان العرب ٢/ ٥٤١ ، وتاج العروس ٧/ ١٢ ، وتكملة المعاجم العربية ، لرينهارت بيتر آن دُوزِي (المتوفي: ١٣٠٠هـ) ٨/ ٣٥ (ف ر ح) وزارة الثقافة والإعلام (العراق) ط : ١ : من ١٩٧٩ – ٢٠٠٠م .

(٢) سورة : غافر / ٧٥ .

(٣) سورة : الرعد / ٢٦ .

(٤) سورة : المؤمنون / ٥٣ .

(٥) سورة : غافر / ٨٣ .

الثالث: الفرح بعينه، قال الله: ﴿ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ ﴾[1][2]".

﴿ فَخُور ﴾

من معانيها الواردة في كتب المعاجم : ادِّعاءُ العَظَمة والكِبَرِ والشَّرَفِ ، والتعاظم ، والتمدح بالخصال ، والتكبر[3] .

وقد استنبط المفسرون المعنى المراد من قوله تعالى : ﴿ لَفَرِحٞ فَخُورٌ ﴾ من المعاني السابقة ؛ فها هو السمعاني يقول : "وقوله : ﴿ إِنَّهُۥ لَفَرِحٞ فَخُورٌ ﴾ الفرح: لذة في القلب بنيل المشتهي ، والفخر : هو التطاول على الناس بتعديد المناقب ، وهو منهي عنه في القرآن في مواضع كثيرة[4]" .

وقال ابن عاشور : "وجملة (إنّه لفرح فخور) استئناف ابتدائي للتعجيب من حاله ، و (فرح وفخور) مثالاَ مبالغة ، أي لشديد الفرح شديد الفخر . وشدة الفرح: تجاوزه الحد وهو البطر والأشَر ، كما في قوله : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ﴾[5].

والفخر : تباهي المرء على غيره بما له من الأشياء المحبوبة للنّاس .

والمعنى : أنّه لا يشكر الله على النعمة بعد البأساء وَمَا كان فيه من الضرّاء فلا يتفكر في وجود خالق الأسباب وَنَاقل الأحوال ، والمخالف بين أسبابها. وفي معنى الآيتين قولُه في سورة الشورى (٤٨) ﴿ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ فَرِحَ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ فَإِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ كَفُورٞ ﴾[6].

---

(١) سورة : يونس /٢٢ .

(٢) الوجوه والنظائر ، لأبي هلال العسكري (المتوفي: نحو ٣٩٥هـ) ت : محمد عثمان صـ: ٣٨٣ ، ٣٨٤ – مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة) ط: ١ : ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م .

(٣) تهذيب اللغة ٧/ ١٥٤، والقاموس المحيط صـ : ٥٨٥ ، وتاج العروس ١٣/ ٣٠٥ (ف خ ر).

(٤) تفسير السمعاني ٢/ ٤١٦ .

(٥) سورة : القصص / ٧٦ .

(٦) التحرير والتنوير ١٢/ ١٤ .

ويراجع : مختصر تفسير البغوي المسمى بمعالم التنزيل ، لعبد الله بن أحمد بن علي الزيد ٤/ ٤٢١ – دار السلام (الرياض) ط : ١ : ١٤١٦هـ .

فالمعنى السياقي هنا : أن هذا الإنسان "لشديد الفرح والبطر بالنعمة : كثير التباهي والتفاخر بما أعطى منها ، مشغول بذلك عن القيام بما يجب عليه نحو خالقه من شكر وثناء عليه – سبحانه – [1] ".

وهذه الآية "صورة صادقة لهذا الإنسان العجول القاصر ، الذي يعيش في لحظته الحاضرة ، ويطغى عليه ما يلابسه؛ فلا يتذكر ما مضى ولا يفكر فيما يلي . فهو يؤوس من الخير ، كفور بالنعمة بمجرد أن تنزع منه . مع أنها كانت هبة من الله له . وهو فرح بطر بمجرد أن يجاوز الشدة إلى الرخاء . لا يحتمل في الشدة ويصبر ويؤمل في رحمة الله ويرجو فرجه؛ ولا يقتصد في فرحه وفخره بالنعمة أو يحسب لزوالها حساباً[2]".

الآية الثالثة

﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [3] .

السياق العام للسورة :

السياق العام لهذه السورة الكريمة يدور حول "ذكر حكمة نزول القرآن عربيًّا ، والغاية من تنزيله ، وهي إخراج الناس من الظّلمات إلى النّور بإذن الله ، وتفويض إنزال الآيات الكونية إلى الله وبإذنه ، وذكر الآيات الكونية من رفع السّماء بغير عمد ومدّ الأرض وتسخير الشّمس والقمر، وجعل الرّواسي في الأرض، وخلق الثّمرات المختلفة الطّعوم والألوان.

وتعرّضت السّورة لإثبات البعث، وضرب الأمثال للحقّ والباطل، والكلام على مكر الكفار وكيدهم وعاقبته، والأمر بالتّوكّل على الله تعالى[4].

السياق العام للآية :

(١) الوسيط ، لمحمد سيد طنطاوي ١٧٠/٧ دار نهضة مصر (القاهرة) ط : ١ .
(٢) في ظلال القرآن ١٨٦٠/١٢ .
(٣) سورة : إبراهيم /٣٤ .
(٤) التفسير المنير ، د / وهبة بن مصطفي الزحيلي ١٣/ ١٩٧– دار الفكر المعاصر – دمشق) ط : ١ : ١٤١٨هـ .

هذه الآية الكريمة تلفت انتباه الإنسان إلى النعم الكثيرة التي أنعم الله سبحانه وتعالى بها على الإنسان وسخرها له ، والتي يجدها– لو التفت إليها– في كل شيء يحيط به.. في الهواء الذي يتنفسه، وفي الضوء الذي تكتحل به عيناه ، وفي اللقمة يجدها على جوع، وفي شربة الماء يأخذها على ظمأ، وفي نسمة عليلة يستروحها بعد لفحة الهجير.. وفي إغفاءة بعد سهر، وفي صحة بعد مرض.. وفي نجاح بعد إخفاق.. وهكذا.. نحن في نعم دائمة لا تنقطع أبدا.. يجدها الغنى والفقير، والقويّ والضعيف، والمريض والسليم.. وهي من الكثرة بحيث لا نلتفت إلا إلى ما نفقده منها، ولا نشعر إلا بما بعد عنّا من وجوهها.. وهذه النعم التي لا تحصى ولا تعدُّ لا يستطيع الإنسان أن يؤدى لله حقّ شكره.. فكيف ونعم الله– لا نعمته– تلبسنا ظاهرا وباطنا؟ ومع هذا فإن الإنسان لا يحمد الله، ولا يشكر له، على ما أسبغ عليه من نعم، بل يرى دائما أنه مغبون فالإنسان يظلم نفسه بحجزها عن مواقع الهدى، وبحجبها عن مطالع الخير، فلا يرى ما لله عليه من فضل، فيكفر بالله، ويرد موارد الهالكين[1].

المخاطِب: الله سبحانه وتعالى .

المخاطَب: الإنسان الكافر، وقيل: الإنسان على وجه العموم ؛ فيشمل المؤمن والكافر، الطائع والعاصي .

موضوع الخطاب : كفر الإنسان لنعم الله تعالى وعدم قدرته على شكرها[2] .

المراد بالإنسان

اختلف المفسرون في المراد بالإنسان في هذه الآية الكريمة ، فقيل : المراد به نوع معين منه وهو الكافر كما في قوله – تعالى – ﴿ وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيًّا ﴾[3] أي : إن الإنسان الكافر لشديد الظلم لنفسه بعبادته لغير الله – تعالى، ولشديد الجحود والكفران لنعمه – عز وجل–[4].

(١) التفسير القرآني للقرآن ، لعبد الكريم يونس الخطيب (المتوفي: بعد ١٣٩٠هـ) ٧/ ١٨٧ بتصرف دار الفكر العربي (القاهرة) .
(٢) ينظر : زهرة التفاسير ٨/ ٤٠٣٤ .
(٣) سورة : مريم /٦٦ .
(٤) الوسيط لسيد طنطاوي ٥٦٢/٧ (بتصرف) .

وقيل : إن التعريف في الإنسان للعهد ؛ أي : المراد به إنسان معين معهود ، وهو عتبة بن ربيعة، وأبو جهل، ويكون المعنى على هذا الرأي : وإذا مس الكافر بلاءٌ ونزلت به شدة دعا ربه راجعًا إليه، منصرفًا عما كان يدعوه من دون الله في حال الرخاء لعلمه أنه بمعزل عن القدرة على كشف ضره(١).

وقيل : إن التعريف في لفظ (الإنسان) لاستغراق وشمول كل بنى البشر ، ويكون المعنى على ذلك : " إِنَّ الْإِنْسانَ لَظَلُومٌ أي لنفسه بإغفاله لشكر نعم الله عليه، وظاهره شمول كل إنسان(٢)". وهو الرأي الأولى بالقبول ؛ وذلك لأن السياق اللغوي يؤكد ذلك ، وهو قوله تعالى : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَـٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾(٣) فالله – عز وجل خلق تلك الآيات الكونية : (السماوات ، والأرض ، والفلك ، والشمس ، والقمر ، والليل ، والنهار) ، وسائر النعم التي لا تعدُّ ولا تحصى لكل البشر وليس لفئةٍ معينةٍ دون أخرى ، فبعد أن أنعم عليه بتلك النعم كفر بها ولم يؤدِ شكرها بل لا يستطيع الإنسان أن يؤدى لله حقّ شكره.

﴿ ظَلُوم ﴾

ظَلُوم: صيغة مبالغة من ظلَمَ. وأصل الظلم: مجاوزة الحد قلت أو كثرت ، وقيل: النقص، ثم تفرعت من هذين الأصلين المعاني الكثير، منها: الجحود والإنكار، والغصب،

(١) التفسير الوسيط ، لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ٨/ ٥٤١ بتصرف– الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية – ط :١ : ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.

(٢) التفسير الوسيط لطنطاوي ٧/ ٥٦٢ .

ويراجع : وتفسير السمعاني ٣/ ١١٩، والجامع لأحكام القرآن ، لشمس الدين القرطبي (المتوفي: ٦٧١هـ) ت: هشام سمير البخاري ٩/ ٣٦٧ – دار عالم الكتب (الرياض) ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

(٣) سورة : إبراهيم / ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ .

وعدم الإنصاف ، والكفر ، والشرك ، والنفاق ، واختلاط الظلام ، وأول كل شيء، والجبل، والثلج ،...[١]

﴿ كَفَّار ﴾

صيغة مبالغة من كفَرَ[٢] . وقد سبق بيان معاني (الكفر) في المعاجم العربية[٣] .

واختلف المفسرون في المراد بقوله تعالى : "لظلوم كفار" ؛ فقيل : "ظلوم لنفسه كفار بنعمة ربه ، وقيل : الظلوم الشاكر لغير من أنعم عليه فيضع الشكر في غير موضعه كفار جحود لنعم الله عليه. وقيل : يظلم النعمة بإغفال شكرها كفار شديد الكفران لها ، وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع بالنعمة يجمع ويمنع[٤]".

وقيل :"الكفور مصدرٌ للكفر مستعملٌ في جحود الوحدانية وجحود النعمة معًا[٥]".

قال الإمام محمد أبو زهرة :" ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ ظلوم صيغة مبالغة من الظلم، أي أنه ظالم أبلغ الظلم بظلم نفسه بالكفر وغمط حق غيره، والاعتداء على الناس وعلى الحقائق، والاعتداء بعبادة الأوثان، و (كفَّارٌ) صيغة مبالغة في الكفر، وهو كفر النعمة وعدم شكرها، بل اتخاذها سبيلا لعتوه واستكباره وفساده في الأرض، وقد أكد اللَّه تعالى ظلم الإنسان بـ " إن "، وبـ " اللام " وبصيغة المبالغة في الظلم، وكفر النعمة، واللَّه محيط بالكافرين[٦]".

(١) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم ١٠/ ٢٣ ، ومعجم متن اللغة ٣/ ٦٦٥ ، ومعجم اللغة العربية المعاصرة ٢/ ١٤٣٨ ، ١٤٤٠ ، والمعجم الاشتقاقي المؤصل ٣/ ١٣٧١.

(٢) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة ٣/ ١٩٤٤ .

(٣) ينظر: صـ من هذا البحث .

(٤) تفسير الخازن ٤/ ٤٦ .

(٥) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ، للسمين الحلبي (المتوفي: ٧٥٦ هـ) ت : محمد باسل عيون السود ٣/ ٤٠٧ دار الكتب العلمية (بيروت) ط : ١ : ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .

(٦) زهرة التفاسير ٨/ ٤٠٣٤ .

وهذه المعاني المستنبطة من هذه الآية القرآنية والتي تتناسب مع السياق تؤكد على "طبيعة الإنسان من حيث هو ظالم متجرئ على المعاصي مقصر في حقوق ربه كفَّار لنعم الله، لا يشكرها ولا يعترف بها إلا من هداه الله فشكر نعمه، وعرف حق ربه وقام به[١]".

ومن هنا فالمعاني اللغوية لكلمة (ظَلُوم) التي تتناسب مع سياق هذه الآية ، هي : مجاوزة الحد ، والجحود والإنكار، وعدم الإنصاف ، أما (كفَّار) فالمعنى الذي يتناسب مع السياق هنا فهي : المُبالِغُ في كُفران النِّعمة ، وشديد الكفر .

الآية الرابعة

﴿ وَلَقَد خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾[٢] .

السياق العام للسورة :

سياق هذه السورة الكريمة يتحدث عن "إنذار المكذبين بالعقاب من خلال عرض مشاهد المهلكين، تحذيرًا للمخاطبين وتثبيتًا للمؤمنين[٣]".

السياق العام للآية :

يبين الله – ﷻ– لآدم – عليه السلام– في هذه الآية الكريمة "نشأته الأولى، ومادته التي خلق منها ليفهم الإنسان نفسه، ويعاملها على أساس سليم، وإذا عرف الداء فلن يعز عليه الدواء[٤]".

المخاطِب : الله سبحانه وتعالى .

المخاطَب : آدم عليه السلام .

موضوع الخطاب :عرض موجز لخلق آدم، وخلق إبليس ، وبيان المادة التي خلق كلّ منهم[٥] .

---

(١) تفسير السعدي صـ : ٤٢٦ .

(٢) سورة : الحجر / ٢٦ .

(٣) المختصر في تفسير القرآن الكريم ، لجماعة من علماء التفسير ١/ ٢٦٢ – مركز تفسير للدراسات القرآنية – ط : ٣ : ١٤٣٦ هـ.

(٤) التفسير الواضح ، لمحمد محمود الحجازي ٣/ ٥٨٣ – دار الجيل الجديد (بيروت) ط : ١٠ : ١٤١٣هـ .

(٥) التفسير القرآني للقرآن ٧/ ٢٣١ .

المراد بالإنسان هنا : آدم – عليه السلام – ؛ وذلك "لأنه أصل النوع الإنساني، وأول فرد من أفراده[1]".

قال الماوردي :" ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ﴾ أما الإنسان ها هنا فهو آدم عليه السلام في قول أبي هريرة والضحاك[2]" .

والسياق الذي أكد أن المراد بالإنسان هنا هو (آدم) – عليه السلام – السياق المقامي أو الحالي ؛ فآدم أصل النوع الإنساني، وأول فرد من أفراده ، وهو ما أكده جُلُّ علماء التفسير .

﴿ الصَّلصَال ﴾

الصَّلْصالُ: الطِّينُ الحُرُّ خُلِطَ بالرَّمْلِ فَصارَ يُصَلْصِلُ ، أو الطِّينِ الذى لم يُجْعَل خَزَفاً سُمِّيَ به لِتَصَلْصُلِه ، وكلُّ ما جَفَّ من طِينٍ أو فَخَّارٍ وصوت طَيِن البيض، والحَمَأُ المَسْنون ، والْمَاءُ الَّذِي يَقَعُ عَلَى الأَرض فَتَنْشَقُّ فيَجِفُّ فَيَصِيرُ لَهُ صَوْتٌ ، والصوت القويّ الحاد، والْحمار الوحشي الحاد الصَّوْت[3].

(١) التفسير الوسيط ، للطنطاوي ٨/ ٣٦ .

(٢) تفسير الماوردي ٣/ ١٥٧ .

ويراجع : الهداية الى بلوغ النهاية ٦/ ٣٨٨٥ ، والتسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي صـ: ٨٠٥ ، وتفسير السعدي صـ : ٤٣٠ ، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين الشنقيطي (المتوفي : ١٣٩٣هـ) ١٦/ ٤٥ – دار الفكر (بيروت) ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م .

(٣) ينظر : جمهرة اللغة ، لأبى بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفي: ٣٢١هـ) تحقيق : رمزي منير بعلبكي ١/ ١٤٣– دار العلم للملايين (بيروت) الطبعة : الأولى ١٩٨٧م ، ومعجم ديوان الأدب ، لأبى إبراهيم إسحاق الفارابي، (المتوفي: ٣٥٠هـ) ت : د . أحمد مختار عمر ٣/ ١١١ – مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر (القاهرة) ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م ، والمحكم والمحيط الأعظم ٨/ ٢٦٧ ، ولسان العرب ١١/ ٣٨٢ ، وتاج العروس ٢٩/ ٣٢٤ .

وقد اختلفَ المفسِّرونَ في بيان المعنى المقصود بلفظِ «صلصال» في قولِه تعالى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ﴾ [الحجر: ٢٦] على قولين:

القولُ الأولُ: الصِّلْصَالُ: الطِّينُ اليابسُ الَّذي إذا نَقَرْتَهُ صَلَّ؛ أي: أصدرَ صوتاً. وقد قال بهذا الرأي من المفسرين : ابنُ عَبَّاسٍ ، وقتادةُ . ومِنَ اللُّغويينَ: أبو عبيدةَ، وابنُ قتيبةَ ، والزَّجَّاجُ .

القولُ الثاني: الصَّلْصَالُ: المُنْتِنُ. وقد قال بهذا الرأي من المفسرين : مجاهد . ولم يقل به أحدٌ مِنَ اللُّغويينَ ، وإنْ كانَ بعضُهم قدْ ذَكَرَهُ عنْ مجاهد .

ومن قال بالقولُ الأوَّلُ جعلَ أصلَ الكلمةِ مِنَ الصَّلْصَلةِ؛ أي: الصَّوتُ، ومنه: صَلْصَلَةُ اللِّجَامِ، والحُلْيِ؛ أي: صوتُهُما، والصَّلْصَلَةُ: صَوتُ الرَّعْدِ إذا كانَ صَافِياً، ويقالُ لِلْفَرَسِ إذا كانَ حَادَّ الصَّوتِ: فَرَسٌ صَلْصَالٌ . وأمَّا من قال بالقولُ الثاني، فقد جعلَ أصلَه مِن صَلَّ الشَيءُ، إذا تغيَّرَ وأنْتَنَ[1].

﴿ الحَمَأ ﴾

المعنى المحوري للفعل (حمأ) : حدّةٌ ما تخالط عُمْقَ الشيء ، وقد أطلق الحمأ على معان فرعية كثيرة تندرج تحت هذا المعنى المحوري ، ومنها : طينُ البئر الأسودُ المنتن ، الطين الذي نبث من النّهر ، أَبُو زوج الْمَرْأَة ، وَقيل: الْوَاحِد من أقَارِب الزَّوْج وَالزَّوْجَة[2] .

وقد "عَدّ بعضهم الحمأ من الأضداد: تقول منه حَمَأت الركية حمْأً إذا أخرجتَ منها الحمأة، وأحمَأتُها إحماءً إذا جعلت فيها الحمأة. حكاه ابن الأنباري عن قطرب، وقال: وليس

(١) التفسير اللغوي للقرآن الكريم ، د / مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار صـ : ٤٨٨ بتصرف – دار ابن الجوزي – ط : ١ : ١٤٣٢هـ .
ويراجع : قواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير ، لعبير بنت عبد الله النعيم صـ : ١٦٥ – دار التدمرية (الرياض) ط : ١ : ١٤٣٦هـ – ٢٠١٥م .

(٢) ينظر : العين ٣/ ٣١٢ ، والمحكم والمحيط الأعظم ٣/ ٤١١ ، والمعجم الاشتقاقي المؤصل ١/ ٤٩٢ (ح م أ) .

هذا عندي من الأضداد، لأن لفظ حمأتُ، يخالف أحمأت، فكل واحدة منهما لا تقع إلا على معنى واحد، وما كان على هذا السبيل لا يدخل في الأضداد .

وقال ابن السكيت في الأضداد: والحمأ الطين الأسود، وكذلك الحمْأة. تقول منه حَمِئتُ البئر إذا نزعت حمأتها، وأحمأتها ألقيت فيها الحمأة. وحكاه القرطبي في تفسير آية الحجر[1]".

وأما الحمأ المراد في الآية الكريمة فهو : الطين الأسود المتغير .

قال العز بن عبد السلام :"حما ": جمع حمأة وهي الطين الأسود المتغير[2]" .

﴿ الْمَسْنُون ﴾

بالبحث في المعاجم استخلصت كثيرًا من المعاني التي تدل عليها كلمة (مسنون) ، منها : المصبوب ، والمُصَوَّرُ ، والمُمَلَّسُ ، والرَّطْبُ ، واللَّطيفُ، والدّقيق الْأنف، والذي أَتت عليه السّنون فأَنْتن ، وسَيْفُ مالِكِ بنِ العَجْلانِ الأَنْصارِيّ[3] .

وأما معنى الصلصال في كتب التفسير فلا يخرج عن المعاني اللغوية السابقة ، ومعناها يتلخص في ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه الطين اليابس الذي لم تصبه نار ، فإذا نقرته صل فسمعت له صلصلة.

الثاني : أنه طين خلط برمل ، قاله عكرمة .

---

(١) الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق ، لعائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ (المتوفي: ١٤١٩هـ) صـ : ٣٦٣ – دار المعارف – ط : ٣ .

(٢) تفسير العز بن عبد السلام ، لعز الدين عبد العزيز بن عبد السلام (المتوفي سنة٦٦٠هـ) ت : عبد الله بن إبراهيم الوهبي صـ : ٥٥٧ – دار ابن حزم (بيروت) ط : ١ : ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م .

ويراجع : معاني القرآن ، للنحاس ٤/ ٢٤ ، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ١٦/ ٤٥ ، وتذكرة الأريب تفسير الغريب ، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفي: ٥٩٧هـ) ت : طارق فتحي السيد صـ : ٢٨٤ – دار الكتب العلمية (بيروت) ط: ١ : ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م .

(٣) ينظر : العين ٣/ ٣١٢ ، وتهذيب اللغة ١٣/ ٥٢ ، وتاج اللغة وصحاح العربية ، للجوهري (المتوفي: ٣٩٣هـ) ت: أحمد عبد الغفور عطار ٢١٣٩/٥– دار العلم للملايين (بيروت) الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ– ١٩٨٧م ، والأضداد لابن الأنباري (المتوفي: ٣٢٨هـ) صـ : ٣٩٨ المكتبة العصرية (بيروت) ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م ، وتاج العروس ٣٥/ ٢٣٩ ، والمعجم الاشتقاقي المؤصل ١/ ٤٩٢ (س ن ن) .

الثالث: أنه الطين المنتن ، قاله مجاهد ، مأخوذ من قولهم : صَلَّ اللحمُ وأصَلَّ إذا أنتن[1].

وأما المسنون فورد في تفسيره أربعة أقوال ذكرها ابن الجوزي في تفسيره ؛ فقال: "أحدها: أنه المنتن أيضاً، رواه مجاهد عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وقتادة في آخرين. قال ابن قتيبة: المسنون: المتغير الرائحة. والثاني: أنه الطين الرطب، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: أنه المصبوب، قاله أبو عمرو بن العلاء، وأبو عبيد. والرابع: أنه المحكوك، ذكره ابن الأنباري، قال: فمن قال: المسنون: المنتن[2]" .

* ذكر الإمام الشعراوي اعتراض المستشرقين على أسلوب القرآن بأنه مرة يذكر بأنه خلق من تراب ، ومرة من طين ، ومرة صلصال ، ومرة من حمأ مسنون ، وردَّ عليهم ؛ فقال : "والمتتبع لآيات القرآن يجد الحق – سبحانه وتعالى – يقول مرة في خَلْق الإنسان : ﴿ مِّن تُرَاب... ﴾ [الحج : ٥] ، ومرة ﴿ مِن مَّآءٍ ... ﴾ [الطارق : ٦] ، و ﴿مِن طِينٍ ... ﴾ [الأنعام : ٢] ، و ﴿ مِّنْ حمأ مَّسْنُونٍ ... ﴾ [الحجر : ٢٦] ، و ﴿مِن صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ... ﴾ [الرحمن : ١٤] وهذه التي دعتْ المستشرقين إلى الاعتراض على أسلوب القرآن ، يقولون : من أيِّ هذه الأشياء خُلِقْتم؟

وهذا الاعتراض ناشئ من عدم فَهْم لغة القرآن ، فالتراب والماء والطين والحمأ والمسنون والصلصال ، كلها مراحل متعددة للشيء الواحد ، فإذا وضعتَ الماء على التراب صار طيناً ، فإنْ تركتَ الطين حتى يتخمّر ، ويتداخل بعضه في بعض حتى لا تستطيع أنْ تُمَيِّز عنصراً فيه عن الآخر . وهذا عندما يعطَنُ وتتغير رائحته يكون هو الحمأ المسنون ، فإنْ

(١) تفسير الماوردي ٣/ ١٥٧ بتصرف .

(٢) زاد المسير في علم التفسير ٢/٥٣٢، ٥٣٣ .

ويراجع : المفردات في غريب القرآن صـ : ١٣٣ ، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي – ت : عبد السلام عبد الشافي محمد ٣/ ٣٥٦ – دار الكتب العلمية (بيروت) ط : ١ : ١٤١٣هـ . ١٩٩٣م ، والدر المصون في علم الكتاب المكنون ، للسمين الحلبي (المتوفي: ٧٥٦هـ) ت : أحمد محمد الخراط صـ : ٢٧٦٣ – دار القلم (دمشق) ، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ١٦/ ٤٥ .

جَفَّ فهو صلصال كالفخار ، ومنه خلق اللهُ الإنسان وصوَّره ، ونفخ فيه من روحه ، إذن : هذه مراحل للشيء الواحد ، ومرور الشيء بمراحل مختلفة لا يُغيِّره .

ثم تكلم سبحانه عن الخَلْق الثاني بعد آدم عليه السلام ، وهم ذريته، فقال : ﴿مِن نُّطْفَةٍ ... ﴾ [الحج: ٥] والنطفة في الأصل هي قطرة الماء العَذْب ... ولا تظهر زُرْقة الماء إلا إذا كان صافياً لا يشوبه شيء ، وكذلك النطفة هي خلاصة الخلاصة ، لأن جسم الإنسان تحدث فيه عملية الاحتراق ، وعملية الأيض أي : الهدم والبناء بصفة مستمرة ينتج عنها خروج الفضلات المختلفة من الجسم : فالبول ، والغائط ، والعرق ، والدموع ، وصَمْغ الأذن ، كلها فضلات ناتجة عن احتراق الطعام بداخل الجسم حيث يمتص الجسم خلاصة الغذاء ، وينقلها إلى الدم . ومن هذه الخلاصة يُستخلص منيُّ الإنسان الذي تؤخذ منه النطفة ، فهو – إذن – خلاصة الخلاصة في الإنسان ، ومنه يحدث الحمل ، ويتكَّون الجنين ، وكأن الخالق – عز وجل – قد صَفَّاها هذه التصفية ونقَّاها كل هذا النقاء؛ لأنها ستكون أصْلاً لأكرم مخلوقاته ، وهو الإنسان[1]" .

الآية الخامسة

﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ [2] .

السياق العام للسورة :

سورة النحل كالسور المكية تتجه إلى إثبات التوحيد لله – عز وجل – بالأدلة والبراهين ؛ وذلك من خلال العديد مما خلقه الله – تعالى – من أرض ، وسماء ، وأحياء. وفيها أيضًا تأكيد للبعث والنشور، وإبطال عبادة الأوثان، وما اقترن بعبادة الأوثان من وأد البنات. والتأكيد على إلحاق وإنزال العذاب بمن يشرك بالله – تعالى – وأنه نازل بهم لَا محالة، وأنه سبحانه ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده .

(١) تفسير الشعراوي ، للشيخ / محمد متولي الشعراوي (المتوفي: ١٤١٨هـ) ٩٧٠٤/١٦ – مطابع أخبار اليوم .

(٢) سورة : النحل / ٤ .

وقد أثبت من بعد ذلك قدرته سبحانه في خلق السماوات والأرض وقدرته على خلق الإنسان من نطفة، فإذا هو خصيم مبين مشيرًا إلى التدرج في تكوين هذا المخلوق ، حتى يصير ذا لسان يجادل به، وعقل يفكر به[١] .

السياق العام للآية :

هذه الآية تظهر أن الذي يستحق أن يعبد هو من يخلق الخلق، ويوجدهم من العدم إلى الوجود، أما غيره فهو مخلوق محتاج إلى من يخلقه ، ويدبر شؤونه[٢].

سبب النزول :

نزلت هذه الآية في أبي بن خلف الجمحي حين جاء بعظم رميم إلى رسول الله – ﷺ – فقال: يا محمد أترى الله يحيى هذا بعد ما قد رم ؛ فنزلت هذه الآية[٣].

المخاطِب : الله سبحانه وتعالى .

المخاطَب : هو عبد الله بن أُبيّ ، وقال سعيد بن جبير : هو العاص بن وائل السهمي ، وقال الحسن : هو أُمّية بن خلف ، وقال قتادة : أُبي بن خلف الجمحي ، وقيل : عموم الكفار ، وقيل : كل إنسان .

موضوع الخطاب : الاستدلال على انفراد الله – تعالى – بالإلهية ووحدانيته فيها بتغيّر الإنسان من حال إلى حال ، ومن طور إلى طور .

المراد بالإنسان

اختلف المفسرون في من المراد بهذا الإنسان ؟ "فقال ابن عباس : هو عبد الله بن أُبيّ ، وقال سعيد بن جبير : هو العاص بن وائل السهمي ، وقال الحسن : هو أُمّية بن خلف ، وقال قتادة : أُبي بن خلف الجمحي ؛ وذلك أنه أتى النبي (ﷺ) بعظم حائل قد بلي فقال : يا محمد أترى الله يُحيي هذا بعدما قد رمّ ؟ فقال ﷺ: (نعم ، ويبعثك ويدخلك النار) فأنزل الله هذه الآية[٤]" .

---

(١) زهرة التفاسير ٨/ ٤١٢٠ بتصرف .

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ١٧/ ١٠ بتصرف .

(٣) أسباب نزول القرآن ، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي (المتوفي: ٤٦٨هـ) ت : عصام بن عبد المحسن الحميدان صـ : ١٨٨ بتصرف – دار الإصلاح (الدمام) ط: ٢ : ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م .

(٤) الكشف والبيان ، للثعلبي ٨/ ١٣٧ .

وقيل : يراد به جميع الناس ؛ وذلك لأن (أل) لـ" تَعْرِيفُ الِاسْتِغْرَاقِ، أَيْ خُلِقَ كُلُّ إِنْسَانٍ لِأَنَّ الْمَقَامَ مَقَامُ الِاسْتِغْرَاقِ الْحَقِيقِيِّ[1]".

الرأي الراجح : أن هذه الآية نزلت في شخصٍ أو أكثر من الكفار – على النحو المبين – الذين أنكروا البعث والحساب ، لكن وجود (أل) للدلالة على الاستغراق الحقيقي والإحاطة والشمول دلَّ على شمول لفظ الإنسان وإطلاقه على كل البشر ، وهذا سياق لغوي ، بالإضافة إلى سياق الحال ، وهو أن كل بني آدم قد خلقوا من نطفة ، ثم ساروا في نفس التدرج حتى وصل كل منهم إلى هذا التكوين البديع الذي يظهر قدرة الخالق – جلَّ وعلا – وعظمته ، وأنه لا يعجزه شيء ، سواء في الخلق أو الإماتة أو الإعادة .

﴿ النُّطْفَة ﴾

النُّطْفَةُ : الماء الصّافي قلَّ أو كَثُر ، والقليلُ من الماءِ، وقِيلَ: الماءُ القليلُ يُبَقَي في القِرْبَةِ، وقِيلَ: هي كالجِزْعِة. ، والماءُ القليلُ يبقِي في الدَّلْوِ، والماءُ الصّافِي قَلَّ أو كَثُرَ، والَّتي يكون منها الوَلَدُ ، والبحر[2] .

وهذه المعاني هي المقصودة في قوله تعالى : " نطفة " في قوله تعالى : ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ ﴾ .

قال ابن عادل الحنبلي :" والنُّطفَةُ : القطرة من الماءِ ؛ نطَفَ رَأسهُ مَاءً ، أي : قطر، وقيل : هي الماء الصافي ، ويعبر بها عن ماءِ الرجل ، ويكنى بها عن اللؤلؤةِ ، ومنه: صَبِي منَطَّفٌ إذا كان في أذنه لؤلؤة ، ويقال: ليلةٌ نطوفٌ إذا جاء فيها المطر ، والنَّاطفُ : ما سال من المائعات يقال : نَطَفَ يَنطفُ، أي : سال فهو نَاطِف ، وفلانٌ يُنْطَفُ بسُوءٍ[3]".

(١) التحرير والتنوير ٢٣/ ٧٤ .
ويراجع : تفسير البغوي (معالم التنزيل في تفسير القرآن) ، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفي: ٥١٠هـ) ٥/ ٩ – دار طيبة للنشر والتوزيع – ط : ٤ : ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م ، وتفسير الخازن ٤/ ٧٩.

(٢) ينظر : كتاب العين ٧/ ٤٣٦ ، والمحكم والمحيط الأعظم ٩/ ١٨٦ ، وتاج العروس ٢٤/ ٤١٩ (ن ط ف) .

(٣) اللباب في علوم الكتاب ١٢/ ٩ .

"والنطفة تقع على قليل الماء وكثيره[١]" .

ويرى الإمام الشعراوي – رحمه الله تعالى – أن "النطفة هي خلاصة الخلاصة ، لأن جسم الإنسان تحدث فيه عملية الاحتراق، وعملية الأيض أي: الهدم والبناء بصفة مستمرة ينتج عنها خروج الفضلات المختلفة من الجسم : فالبول ، والغائط ، والعرق ، والدموع، وصَمْغ الأذن، كلها فضلات ناتجة عن احتراق الطعام بداخل الجسم حيث يمتص الجسم خلاصة الغذاء، وينقلها إلى الدم.

ومن هذه الخلاصة يُستخلص منيُّ الإنسان الذي تؤخذ منه النطفة ، فهو – إذن – خلاصة الخلاصة في الإنسان ، ومنه يحدث الحمل ، ويتكَّون الجنين ، وكأن الخالق – ﷻ – قد صَفَّاها هذه التصفية ونقَّاها كل هذا النقاء؛ لأنها ستكون أصْلاً لأكرم مخلوقاته، وهو الإنسان .

وهذه النطفة لا تنزل من الإنسان إلا في عملية الجماع ، وهي ألذُّ متعة في وجود الإنسان الحيّ ، لماذا؟ لو تأملتَ متعة الإنسان ولذاته الأخرى مثل : لذة الذَّوْق ، أو الشم، أو الملمس ، فهي لذَّاتٌ معروفة محددة بحاسَّة معينة من حواس الإنسان ، أمّا هذه اللذة المصاحبة لنزول المنيّ أثناء هذه العملية الجنسية فهي لذة شاملة يهتز لها الجسم كله ، ولا تستطيع أنْ تُحدِّد فيها منطقة الإحساس ، بل كل ذرة من ذرات الجسم تحسها[٢]" .

﴿ خَصِيم ﴾

﴿ خَصِيم) على زنة (فعيل) وهو صيغة مبالغة من الفعل (خصِمَ) ، ومن معاني هذا الفعل : إحكام الخصومة والنزاع ، والجدال والنقاش في الباطل ، والعناد والدفاع عنه[٣] .

﴿ مُبِين ﴾

من معاني هذه الكلمة: وضوح الشيء وظهوره ، والقطع ، والتفضيل[٤].

---

(١) تفسير الثعالبي (الجواهر الحسان في تفسير القرآن) ، لأبي زيد عبد الرحمن الثعالبي (المتوفي: ٨٧٥هـ) ت : محمد علي معوض ٣/ ٧١ – دار إحياء التراث العربي (بيروت) ط : ١ : ١٤١٨هـ .

(٢) تفسير الشعراوي ١٦/٩٧٠٤.

(٣) ينظر : جمهرة اللغة ١/ ٦٠٥ ، ولسان العرب ١٢/ ١٨١ ، ومعجم اللغة العربية المعاصرة ١/ ٦٥٣ (خ ص م) .

(٤) ينظر : تهذيب اللغة ١٥/ ٣٥٥ ، ومعجم متن اللغة ١/ ٣٧٨ (ب ي ن) .

والمراد من هذه المعاني السابقة لكلمتي (خصيم) ، و(مبين) في هذه الآية الكريمة ، أن الخصيم : هو الذي يُجادل كثيرًا ، ويُنكِر الحقائق ، والمبين : البيّن والظاهر الخصومة .

قال ابن عجيبة : "﴿ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ : مجادل ، كثير الجدل والخصام ، مبين لحجته ، أو : خصيم : مكافح لخالقه[1]".

وقيل في المراد بخصيم مبين : "وجهان بيّنهما الرازي بقوله : " أحدهما : فإذا هو منطبق مجادل عن نفسه ، منازع للخصوم بعد أن كان نطفة قذرة ، وجماداً لا حس له ولا حركة ، والمقصود منه : أن الانتقال من تلك الحالة الخسيسة إلى هذه الحالة العالية الشريفة لا يحصل إلا بتدبير مدبر حكيم عليم. والثاني : فإذا هو خصيم لربه ، منكر على خالقه ، قائل: ﴿ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ﴾ (يس : ٧٨) والغرض منه وصف الإنسان بالإفراط في الوقاحة والجهل ، والتمادي في كفران النعمة ، والوجه الأول أوفق ، لأن هذه الآيات مذكورة لتقرير وجه الاستدلال على وجود الصانع الحكيم ، لا لتقرير وقاحة الناس وتماديهم في الكفر والكفران[2]".

وفي وصفه سبحانه وتعالى للإنسان بخصيم مبين "ثلاثة أوجه :

أحدها : تعريف قدرة الله تعالى في إخراجه من النطفة المهينة إلى أن صار بهذه الحال في البيان والمكنة .

الثاني : ليعرفه نعم الله تعالى عليه في إخراجه إلى هذه الحال بعدما خلقه من نطفة مهينة .

الثالث : يعرفه فاحش ما ارتكب من تضييع النعمة بالخصومة في الكفر ، قاله الحسن[3]".

---

(١) البحر المديد (٤/ ٧) .

ويراجع : تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) ، لأبي سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي (المتوفي: ٦٨٥هـ) ت : محمد عبد الرحمن المرعشلي صـ : ٤٤٢ – دار إحياء التراث العربي (بيروت) ط : ١٤١٨هـ ، واللباب في علوم الكتاب ٢٦٤/١٦ .

(٢) تفسير الفخر الرازي ١٩/ ١٧٤.

ويراجع : الجامع لأحكام القرآن ١٥/ ٥٧ ، واللباب في علوم الكتاب٢٦٤/١٦ .

(٣) تفسير الماوردي ٣/ ١٧٩ .

الآية السادسة

﴿ وَيَدۡعُ ٱلۡإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلۡخَيۡرِۖ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولٗا ﴾[1].

السياق العام للسورة :

كان نزول هذه السورة الكريمة في أعقاب حادثة الإسراء والمعراج ؛ ومن هنا فسياق هذه السورة يدور ويتحدث عن هذا الحادث، وكذلك الحديث عن شخصية الرسول – ﷺ– حديثا مستفيضا، وإيذاء المشركين له، وتطاولهم عليه، وتعنتهم معه، كمطالبتهم إياه بأن يفجر لهم من الأرض ينبوعا ... فنزول هذه السورة كان تسلية للنبي – ﷺ– ، وتثبيته، ورفع منزلته، وإعلاء قدره ... في تلك الفترة الحرجة من حياته ﷺ وهي الفترة التي أعقبت موت زوجه السيدة خديجة– رضى الله عنها– وموت عمه أبي طالب[2] .

السياق العام للآية :

تكشف هذه الآية عن حال من أحوال الإنسان وعن صفة من صفاته التي طبع عليها ، وهو أنه مولع بحبّ العاجل من المتاع، يطلبه، ويؤثره على الآجل، وإن كان فيه من الخير أضعاف العاجل الذي طلبه وآثره..!

ولهذا السبب ، كان أكثر الناس يطلبون الدنيا، ويستوفون حظوظهم منها ، ويجعلونها هي الغاية والهدف الأسمى الذى يسعون إليه ، دون أن يتركوا للآخرة شيئا. وهذا ما يحملهم على أن يهتفوا بالشرّ، ويلحّوا في طلبه، حتى كأنه خير محقق[3].

المخاطِب : الله سبحانه وتعالى .

المخاطَب : آدم عليه – عليه السلام – ، وقيل : جميع البشر .

موضوع الخطاب : بيان حالة من حلات الإنسان أو صفة من صفاته[4] .

---

(١) سورة : الإسراء / ١١ .

(٢) التفسير الوسيط لطنطاوي ٨/ ٢٧٤ بتصرف .

(٣) التفسير القرآني للقرآن ٨/ ٤٥٩ بتصرف .

(٤) ينظر : التفسير الوسيط لطنطاوي ٨/ ٣٠٦ .

المراد بالإنسان: ذكر المفسرون في المراد بالإنسان في قوله تعالى : ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ قولين :

"القول الأول: آدم عليه السلام ، وذلك لأنه لما انتهت الروح إلى سرته نظر إلى جسده فأعجبه فذهب لينهض فلم يقدر ، فهو قوله : ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾.

والقول الثاني : أنه محمول على الجنس ، لأن أحداً من الناس لا يعرى عن عجلة ، ولو تركها لكان تركها أصلح له في الدين والدنيا ، وأقول : بتقدير أن يكون المراد هو القول الأول ، كان المقصود عائداً إلى القول الثاني ، لأنا إذا حملنا الإنسان على آدم عليه الصلاة والسلام كان المعنى أن آدم الذي كان أصل البشر لما كان موصوفاً بهذه العجلة وجب أن تكون هذه صفة لازمة للكل ، فكان المقصود عائداً إلى القول الثاني ، والله أعلم[1]".

وهذا الرأي أولى بالقبول ؛ وذلك لأن السياق العام للآية يقويّه ويعضده .

﴿ عَجُولًا ﴾

تدور معاني (عَجُولًا) في المعاجم العربية حول : الكثير العجلة ، والثكول الواله، والطِّينُ والحَمْأَة ، وسوق الدواب سوقًا شديدا[2].

أما بخصوص المراد بعجولًا في هذه الآية فأكثر المفسرين يرون أن المراد منها : الكثير العجلة المتسرع – وهو الرأي الراجح – ، وقيل : الطين والحمأة .

---

(١) تفسير الفخر الرازي ٣٠٥/٢٠.

ويراجع : تفسير مقاتل بن سليمان ٢/ ٢٥١ – دار الكتب العلمية (بيروت) ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م ، والتحرير والتنوير ١٥/ ٤٢ ، والبحر المديد ٤/ ١١١ .

(٢) ينظر : المخصص ، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده (المتوفي: ٤٥٨هـ) ت : خليل إبراهم جفال ٣٥٣/٣ – دار إحياء التراث العربي (بيروت) ط : ١ : ، وتهذيب اللغة ١/ ٢٣٧ ، وشمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، لنشوان بن سعيد الحميري اليمني (المتوفي: ٥٧٣هـ) ٧/ ٤٣٨٩ دار الفكر المعاصر (بيروت) ط : ١ : ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م ، والكليات ، لأبي البقاء الكفوي (المتوفي: ١٠٩٤هـ) ت : عدنان درويش ، ومحمد المصري صـ: ٦٦٢ – مؤسسة الرسالة (بيروت)، ولسان العرب ١١/ ٤٢٨ ، وتاج العروس ٢٩/ ٤٣٥، ومعجم اللغة العربية المعاصرة ٢/ ١٤٦٠ (ع ج ل) .

قال البغوي : "قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولاً ﴾[الإسراء: ١١] ، وَقَالَ قَوْمٌ: مَعْنَاهُ خُلِقَ الْإِنْسَانُ يَعْنِي آدَمَ مِنْ تَعْجِيلٍ فِي خَلْقِ اللَّهِ إِيَّاهُ، لِأَنَّ خَلْقَهُ كَانَ بَعْدَ خَلْقِ كُلِّ شَيْءٍ فِي آخِرِ النَّهَارِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَأَسْرَعَ فِي خَلْقِهِ قَبْلَ مَغِيبِ الشمس. وقال مُجَاهِدٌ: فَلَمَّا أَحْيَا الرُّوحُ رَأْسَهُ قَالَ : يَا رَبِّ اسْتَعْجِلْ بِخَلْقِي قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ. وَقِيلَ: بِسُرْعَةٍ وَتَعْجِيلٍ عَلَى غَيْرِ تَرْتِيبِ خَلْقِ سائر الآدميين من النطفة ثم العلقة ثم المضغة وَغَيْرِهَا. وَقَالَ قَوْمٌ: مِنْ عَجَلٍ أَيْ مِنْ طِينٍ[(١)]".

"وفي الآية إيماء إلى أن القرآن يدعو للتي هي أقوم، ويأبون إلا التي هي ألوم[(٢)]".

والتعجل من صفات الإنسان السلبية التي تغلب عليه وتُشَكِّلُ عاملًا من عوامل ضعفه ؛ فكثيرًا ما يرتكب الإنسان الأخطاء القاتلة ، أو إصدار الأحكام والقرارات الخاطئة بسبب التعجّل في الوصول إلى الهدف أو المراد ، والانفعالات الزائدة .

وقد يقول قائلٌ : إن الإنسان قد خلقه الله ضعيفًا متعجلًا فلا ذنب عليه في الضعف والتعجل أو غير ذلك من الصفات السلبية التي جُبِلَ عليها . يجيب عن هذا الإمام الزمخشري بقوله : " والله أعلم بصحته. فإن قلت: لم نهاهم عن الاستعجال مع قوله خُلِقَ الْإِنْسانُ مِنْ عَجَلٍ وقوله وَكانَ الْإِنْسانُ عَجُولًا أليس هذا من تكليف ما لا يطاق؟ قلت: هذا كما ركب فيه الشهوة وأمره أن يغلبها، لأنه أعطاه القدرة التي يستطيع بها قمع الشهوة وترك العجلة[(٣)]".

---

(١) تفسير البغوي – إحياء التراث ٣/ ٢٨٩ .

ويراجع : تفسير الماتريدي ٧/ ٣٤٤ ، والكشف والبيان ، للثعلبي ٦/ ٨٧ ، وغرائب التفسير وعجائب التأويل ، لأبي القاسم برهان الدين الكرماني (المتوفي: نحو ٥٠٥هـ) ٦٢٢/١ ، ٦٢٣ – دار القبلة للثقافة الإسلامية (جدة) ، وتفسير العز بن عبد السلام ٢/ ٣٢٤ ، وتفسير النيسابوري (غرائب القرآن ورغائب الفرقان) ، لنظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري (المتوفي: ٨٥٠هـ) ت : الشيخ زكريا عميرات ٥/ ٢١ – دار الكتب العلمية (بيروت) ط : ١٤١٦هـ ، والبحر المديد ٤/ ١١١ .

(٢) تفسير المراغي ١٥/ ١٨ .

(٣) الكشاف ، للزمخشري ٣/ ١١٧ .

الآية السابعة

﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴾ (١) .

السياق العام للسورة :سبق بيانه في الآية السابقة .

السياق العام للآية : بَيَّنَ الشعراوي معنى هذه الآية وسياقها ؛ فقال : أن الله – تعالى – "يُذكِّر المشركين ومن كان على شاكلتهم أنهم عندما يصيبهم الضر في البحر يغيب عنهم كل من كانوا يدعونه سواء من الأصنام أو غيرها ولا يلجأون إلا الله حتى ينجيهم من الغرق ويخرجهم إلى البر ، ومن بعد ذلك يعودون إلى الشرك بالله والجحود بنعمته سبحانه(٢)".

المخاطِب : الله سبحانه وتعالى .

المخاطَب : الإنسان الكافر ، وقيل (أل) للجنس الذى تفيد الاستغراق والشمول والإحاطة ؛ فيشمل المؤمن والكافر .

موضوع الخطاب :يبين الله سبحانه وتعالى نِعَمَهُ في البر والبحر وكشف الضر ، وكفر الإنسان لهذه النعم(٣).

المراد بالإنسان : أكثر المفسرين يرون أن المراد بالإنسان هنا : الإنسان الكافر ، وقيل (ال) للجنس ؛ فيشمل المؤمن والكافر .

"قال الحسن: هذه للمشركين(٤)" . وقيل : إن "التعريف في (الإنسان) تعريف الجنس وهو مفيد للاستغراق . فهذا الاستغراق يجوز أن يكون استغراقاً عرفياً بحمله على غالب نوع الإنسان ، وهم أهل الإشراك وهم أكثر الناس يومئذٍ(٥)".

"وقال مجاهد: لأمة محمد – ﷺ– وعفا عَنْهُمْ(٦)" .

---

(١) سورة : الإسراء / ٦٧ .

(٢) تفسير الشعراوي ٦/ ٣٦٩٥ .

(٣) ينظر : زهرة التفاسير صـ : ٤٣١٣ .

(٤) مختصر تفسير ابن كثير ، لمحمد علي الصابوني ١/ ٥٨٥ – دار القرآن الكريم (بيروت) ط : ٧ : ١٤٠٢هـ – ١٩٨١م .

(٥) التحرير والتنوير ١٥/ ١٦٠ .

(٦) مختصر تفسير ابن كثير ١/ ٥٨٥ .

و "قال ابن عباس: يريد أهل مكة[١]" .

وقيل : "قوله: ﴿كَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ كَفُورٗا﴾ هو الجنس الشامل للمؤمن والكافر[٢]".

وهذا الرأي أقرب إلى الصواب وأجدر بالقبول ؛ وذلك لدلالة سياق الآية المقامي على ذلك ، وكذلك السياق اللغوي ، وهو كون (أل) في (الإنسان) لاستغراق الجنس البشرى .

﴿ كَفُورًا ﴾

مرَّ تعريف معنى الكفور في اللغة ،والمقصود به في الآية الكريمة : أنه كثير الكفر للنعم الملموسة المشاهدة ، ومن هذه النعم التي كفر بها : أن مثل هذا لإنسان في وقت الشدة والكوارث يسلّم أمره لله تعالى فإذا انكشف الضر عنه وزالت الغمة أعرض وتمرد على ربه وكفر به ، وهذا من طبيعة الإنسان[٣].

فهو كفور بالنعم ، جاحدًا لها بالنعم ، إلا القليل ، وهو كالتعليل للإعراض[٤].

---

(١) التفسير البسيط ، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي (المتوفي: ٤٦٨هـ) ١٣/ ٣٩٧ – عمادة البحث العلمي (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية) ط : ١ : ١٤٣٠هـ .

(٢) التفسير المنير ، للزحيلي ١٥/ ١٢٦ .

ويراجع : معاني القرآن ، للزجاج (المتوفي: ٣١١هـ) ٣/ ٢٥١ عالم الكتب (بيروت) الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م ، وتفسير ابن أبى زمنين ١/ ٣٧١ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٢٩١ ، وتفسير روح البيان ، لإسماعيل حقي بن مصطفي الإسطنبولي ٥/ ١٤٠ – دار إحياء التراث العربي ، ومختصر تفسير ابن كثير ١/ ٥٨٦.

(٣) ينظر : تفسير الشعراوي ١٤/ ٨٦٧٧ .

(٤) البحر المديد ٤/ ١٥١ بتصرف .

ويراجع : البحر المديد ٤/ ١٥١ ، والتحرير والتنوير ١٥/ ١٦٠ .

الآية الثامنة

﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا﴾[1] .

السياق العام للسورة : سبق بيانه في الآية قبل السابقة .

السياق العام للآية : يخبر الله – تعالى – عن نقص الإنسان من حيث هو، إلا من عصم الله تعالى في حالتي سرائه وضرائه، وذلك لأنه إذا أنعم الله عليه بمال وعافية، وفتح ورزق ونصر، ونال ما يريد، أعرض عن طاعة الله وعبادته ونأي بجانبه ؛ قاصدا الاستكبار والتباعد لأن ذلك عادة المتكبرين ، وبأنه إذا مسه الشر –وهو المصائب والحوادث والنوائب قنط أن يعود قنوطًا من رحمة الله ومن الخير بعدئذ[2].

المخاطِب : الله سبحانه وتعالى .

المخاطَب : الوليد بن المغيرة ، وقيل : جميع الكفار ، المسلم وغير المسلم .

موضوع الخطاب : ال"إخبار عن طبيعة الإنسان، من حيث هو، وعدم صبره وجلده، لا على الخير ولا على الشر، إلا من نقله الله من هذه الحال إلى حال الكمال[3]".

المراد بالإنسان : قيل : المراد بالإنسان هنا : الوليد بن المغيرة[4] .

"وقال ابن عباس : يريد عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأمية بن خلف أعرضوا عن الإسلام وتباعدوا عنه[5]" .

وقيل: "التعريف في (الإنسان) تعريف الجنس ، وهو يفيد الاستغراق وهو استغراق عرفي، أي أكثر أفراد الإنسان لأن أكثر الناس يومئذٍ كفار وأكثر العرب مشركون[6]".

---

(١) سورة : الإسراء / ٨٣ .
(٢) تفسير ابن كثير ٥/ ١١٣ بتصرف .
(٣) تفسير السعدي صـ : ٧٥٢ .
(٤) ينظر : الوجيز ، للواحدي صـ : ٦٤٥ .
(٥) الجامع لأحكام القرآن ١٥/ ٣٧٣ .
(٦) التحرير والتنوير ١٥/ ١٩١ .

وقيل : " هذا بعيد ، بل المراد أن نوع الإنسان من شأنه أنه إذا فاز بمقصوده ووصل إلى مطلوبه اغتر وصار غافلاً عن عبودية الله تعالى متمرداً عن طاعة الله كما قال : ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ﴾ (العلق : ٦/ ٧)[١]".

فـ "يحتمل أن يكون الإنسان عاما للجنس ؛ فالكافر يبالغ في الإعراض ، والعاصي يأخذ بحظ منه[٢] " .

﴿ أَعۡرَضَ ﴾

من معاني الإعراض المعجمية : ظهور الشيء وإبداؤه ، والصدود ، والانحراف ، والتولي ، وجانب وجهه ، وجعل الطريق عريضًا متسعا ، والصفح[٣].

﴿ نَأَىٰ ﴾

من معانيه الواردة في المعاجم : البُعْدُ ، والفِراق وإن لم يَكُن ببُعدٍ ، والتنحي ، والتكبر ، والإعراض بالوجه[٤].

والمراد من أعرض في الآية الكريمة : التولية بالظهر ، ومجانبة الشيء والانحراف والابتعاد عنه. وأما المراد بنأي فهو الإعجاب بالنفس ، والتكبر والإعراض بالوجه.

---

(١) تفسير الفخر الرازي ٢١/ ٣٩٠ .

(٢) تفسير الثعالبي ٢/ ٣٥٧ .

ويراجع : تفسير مقاتل بن سليمان ٢/ ٢٧٠ ، وتفسير السمرقندي ، لأبي الليث نصر بن محمد السمرقندي – ت : د. محمود مطرجي ٣/ ٢٢١ – دار الفكر (بيروت)، وتفسير ابن أبى زمنين ١/ ٣٧٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٣٢١ .

(٣) ينظر : المحكم والمحيط الأعظم ١/ ٤٠١، معجم اللغة العربية المعاصرة ٢/ ١٤٨٠، والمعجم الاشتقاقي المؤصل ٣/ ١٤٤٦ (ع ر ض) .

(٤) ينظر : تهذيب اللغة ١٥/ ٣٨٩ ، والمجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث ، لمحمد بن عمر بن أحمد الأصبهاني (المتوفي: ٥٨١هـ) ت: عبد الكريم العزباوي ٣/ ٢٥٠ – دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع (جدة) ط: ١، وتاج العروس ٤٠/ ٧، ومعجم اللغة العربية المعاصرة (٣/ ٢١٥١) ، والمعجم الاشتقاقي المؤصل ٤/ ٢١٣٩ (نأي).

قال الرازي في المراد بالإعراض: " أعرض أي ولى ظهره أي عرضه إلى ناحية ونأي بجانبه أي تباعد[١] ".

وقال الزمخشري: "أعرض عن ذكر الله كأنه مستغن عنه، مستبد بنفسه[٢]".

وقال الماوردي في معنى النأي : "﴿ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦٓ ﴾ وجهان : أحدهما : أعجب بنفسه ، لأن المعجب نافر من الناس متباعد عنهم . الثاني : تباعد من ربه[٣]".

وقال القرطبي : "ومعنى نأي بجانبه أي تكبر وتباعد وناء مقلوب منه والمعنى : بعد عن القيام بحقوق الله عز وجل يقال : نأي الشيء أي بعد ونأيته ونأيت عنه بمعنى أي بعدت وأنأيته فانتأي أي أبعدته فبعد وتناءوا تباعدوا والمنتأى : الموضع البعيد[٤]".

فالمعنى السياقي المراد هنا : أن هذا الإنسان أعرض وتكبر ، وهذا من ديدن المشركين ؛ فابتعدوا عن القيام بحقوق الله – عز وجل– من الإيمان به ، أو شكر النعم التي أنعم بها عليه والتي لا تعدُّ ولا تحصى[٥].

وقوله تعالى : ﴿ وَنَأَي ﴾ : قرأ العامة بتقديم الهمزة على حرف العلة ؛ من النَّأي ، وهو البعدُ ، وقرأ ابن ذكوان وابن الخطيب عن ابن عامر وأبو جعفر : (نَاءَ) مثل (جَاءَ) بتقديم الألف على الهمزة ، وفيها تخريجان : أحدهما : أنها من : نَاءَ ، يَنُوء ، أي : نَهَضَ . والثاني : أنه مقلوبٌ من " نَأي " ، ووزنه " فَلَعَ " كقولهم في " رَأي " : " رَاءَ " إلى غير ذلك ؛ فيكونان بمعنًى واحد[٦] .

﴿ الشَّرُّ ﴾

(١) تفسير الفخر الرازي ٢١/٣٩٠ .
(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ١٨/ ٣٤٢ .
(٣) تفسير الماوردي ٣/ ٢٦٨.
(٤) الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٣٢١ .
ويراجع : البحر المديد ٤/ ١٦٨ ، والتحرير والتنوير ١٥/ ١٩٢ .
(٥) التحرير والتنوير ١٥/ ١٩٢ .
(٦) اللباب في علوم الكتاب ١٢/ ٣٧٠ بتصرف .

كلمة الشر في المعاجم العربية تدل على معانٍ كثيرة ، منها : " السُّوءُ ، وَالْفَسَادُ ، وَالظُّلْمُ [١]"، "والمعابة ، والضُر ، وما يكرهه الإنسان ويبغضه[٢]"، و"بَسْطُكَ الشّيءَ فِي الشّمْسِ من الثِّيَاب وَغَيره"[٣].

وقد اختلف المفسرون في المراد بالشر هنا ، وقد أشار إلى هذا الاختلاف الماوردي في قوله :" وفي (الشر) ها هنا ثلاثة تأويلات :

أحدها : أنه الفقر ، قاله قتادة . الثاني : أنه السقم ، قاله الكلبي . الثالث : السيف ، وهو محتمل[٤]" .

وقيل : المرض أو نازلة من النوازل[٥] .

﴿ يَئُوسٌ ﴾

يئوس : على صيغة (فَعُول) صيغة مبالغة للدلالة على شدة اليأس والقنوط . وهذه الصيغة مأخوذة من اليأس ، بمعنى : القُنوط، وَقِيلَ: اليَأْس نَقِيضُ الرَّجَاءِ ، أو مِنَ السّل لأَن صاحبه مَيْؤُوسٌ مِنْهُ[٦] .

وقد استنبط المفسرون معنى اليئوس من المعاني اللغوية السابقة ؛ فذكر الماوردي أنه : "يحتمل وجهين :

أحدهما : يؤوس من الخير قنوط من الرحمة .

الثاني : يؤوس من إجابة الدعاء ، قنوط بسوء الظن بربه[٧]" .

فيئوس : شديد اليأس والقنوط من رحمة الله ، ومن إجابة دعائه[٨] .

---

(١) المصباح المنير ١/ ٣٠٩ .

(٢) المعجم الاشتقاقي المؤصل ٢/ ١١١٩ .

(٣) تهذيب اللغة ١١/ ١٨٦ .

(٤) تفسير الماوردي ٣/ ٢٦٨ ، ٢٦٩ .

(٥) ينظر : الكشاف ، للزمخشري ٢/ ٦٤٥ .

(٦) ينظر : لسان العرب ٦/ ٢٥٩ ، ولسان العرب ٦/ ٢٦٠ ، ومعجم اللغة العربية المعاصرة ٣/ ٢٥٠٦ .

(٧) تفسير الماوردي ٥/ ١٨٨. ويراجع : تفسير السعدي صـ : ٤٦٥ ، والبحر المديد ٤/ ١٦٨ ، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ١٨/ ٣٤٢ .

(٨) ينظر : معاني القرآن للفراء ٣/ ٧٩ – الدار المصرية للتأليف والترجمة ، وتفسير الطبري ١٧/ ٥٣٩ ، وتفسير الثعلبي ٦/ ١٢٩ ، والتحرير والتنوير ١٥/ ١٩١ .

والتعبير بصيغة المبالغة (يئوسًا) للدالة على لزوم اليأس وإيغاله في النفس، وعدم افتراقه عنها، فيكون هذا الإنسان في حال بؤس مستمرٍ، ويأس دائم، يكفر إذا أنعم الله عليه، ويصاب بالطغيان، ويكفر إذا اختبره الله تعالى بالشر يصيبه.

وفي هذه الآية الكريمة دعوة إلى ترك القنوط واليأس في حالة ما إذا أصابه الشر ، والتمسك بالرجاء في مغفرة الله الذي يغفر الذنوب جميعا[١].

الآية التاسعة

﴿ قُل لَّوۡ أَنتُمۡ تَمۡلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحۡمَةِ رَبِّيٓ إِذٗا لَّأَمۡسَكۡتُمۡ خَشۡيَةَ ٱلۡإِنفَاقِۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ قَتُورٗا ﴾[٢] .

السياق العام للسورة : سبق بيان السياق العام لهذه السورة الكريمة في الآيات السابقة[٣] .

السياق العام للآية : قل- أيها الرسول الكريم- لهؤلاء الظالمين الذين أعرضوا عن دعوتك، لو أنكم تملكون التصرف في خزائن الأرزاق التي وزعها الله على خلقه، إذا لبخلتم وأمسكتم في توزيعها عليهم، مخافة أن يصيبكم الفقر لو أنكم توسعتم في العطاء، مع أن خزائن الله لا تنفد أبدا، ولكن لأن البخل من طبيعتكم فعلتم ذلك[٤].

المخاطِب : الله سبحانه وتعالى .

المخاطَب : المشركون خاصة ، وقيل : أنها عامة تشمل المؤمن والكافر .

موضوع الخطاب : قواعد السلوك الفردي والجماعي وآدابه .

المراد بالإنسان :

اختلف العلماء في المراد بالإنسان في " هذه الآية على قولين : أحدهما أنها نزلت في المشركين خاصة قاله الحسن ، والثاني أنها عامة وهو قول الجمهور وذكره الماوردي[٥]".

---

(١) المعجزة الكبرى القرآن ، لمحمد بن أحمد بن مصطفي ، المعروف بأبي زهرة (المتوفي: ١٣٩٤هـ) صـ : ٨٢ بتصرف – دار الفكر العربي .

(٢) سورة : الإسراء / ١٠٠ .

(٣) ينظر صـ : في هذا البحث .

(٤) التفسير الوسيط لطنطاوي ٨/ ٤٤٠ بتصرف .

(٥) الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٣٣٥ . ويراجع : تفسير الماوردي ٣/ ٢٧٦ .

أجاب عن ذلك الإمام الرازي في نقاط ؛ فقال : " الأول : أن الأصل في الإنسان البخل لأنه خلق محتاجاً والمحتاج لا بد أن يحب ما به يدفع الحاجة وأن يمسكه لنفسه إلا أنه قد يجود به لأسباب من خارج فثبت أن الأصل في الإنسان البخل. الثاني : أن الإنسان إنما يبذل لطلب الثناء والحمد وللخروج عن عهدة الواجب فهو في الحقيقة ما أنفق إلا ليأخذ العوض فهو في الحقيقة بخيل. الثالث : إن المراد بهذا الإنسان المعهود السابق : ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ﴾ (الإسراء : ٩٠)[1]".

﴿ قَتُورًا ﴾

من المعاني الواردة في المعاجم العربية لكلمة (قتورا) :المبالغ في البخل ، والْقَلِيلُ مِنَ العَيْش الَّذِي يُمْسِكُ الرَّمَقَ ، والتضييق في النفقة[2] .

والمراد من الإقتار في هذه الآية : درجة شنيعة من درجات البخل ، أو التضييق في النفقة ، وهذه المعاني تدور في فلك المعاني المعجمية السابقة .

قال الماوردي : "﴿ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴾ فيه تأويلان : أحدهما : مقتراً ، قاله قطرب والأخفش . الثاني : بخيلاً ، قاله ابن عباس وقتادة[3]" .

(١) تفسير الفخر الرازي ٤١٣/٢١ . ويراجع : تفسير الخازن ٤/ ١٨٧ ، واللباب في علوم الكتاب (١٢/ ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، وفتح القدير ، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني (المتوفي: ١٢٥٠هـ) ٣/ ٣٧٤ – دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت – ط : ١ : ١٤١٤هـ .

(٢) ينظر : النظم المستعذب ١/ ٢٧٠ ، ولسان العرب ١٠/ ١٢٥ ، وتاج العروس ١٣/ ٣٦١ ، ومعجم اللغة العربية المعاصرة ٣/ ١٧٧٤ ، والمعجم الاشتقاقي المؤصل ٤/ ١٧٣٥ (ق ت ر) .

(٣) تفسير الماوردي ٣/ ٢٧٦ . ويراجع : معاني القرآن ، للنحاس (المتوفي: ٣٣٨هـ) تحقيق : محمد علي الصابوني ٤/ ١٩٨ – جامعة أم القرى (مكة المكرمة) الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ ، والمفردات في غريب القرآن صـ : ٣٩٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٣٣٥ ، وتفسير ابن كثير ١٢٤/٥ ، والبحر المديد ٤/ ١٨٢ ، وفتح القدير ٣/ ٣٧٤ ، والتحرير والتنوير ٢٢٤/١٥ .

الآية العاشرة

﴿ وَلَقَد صَرَّفْنَا فِي هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلاً ﴾[1] .

السياق العام للسورة :تدور أحداث سورة الكهف حول "على أصول الإسلام الثلاثة: التوحيد، والرسالة؛ والبعث، وهي أهم مقاصد القرآن المجيد[2]".

السياق العام للآية : يقول ابن كثير في بيان المعنى العام لهذه الآية : "يقول تعالى: ولقد بينا للناس في هذا القرآن، ووضحنا لهم الأمور، وفصلناها، كي لا يضلوا عن الحق، ويخرجوا عن طريق الهدى. ومع هذا البيان وهذا الفرقان، الإنسان كثير المجادلة والمخاصمة والمعارضة للحق بالباطل، إلا من هدى الله وبصره لطريق النجاة[3]" .

سبب النزول : "عن عليّ – رضي الله تعالى عنه – أن رسول الله – ﷺ– طرقه وفاطمة بنت رسول الله – ﷺ ورضي الله تعالى عنها – ليلة فقال : ألا تصليان ؟ فقلت : يا رسول الله أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا فانصرف رسول الله – ﷺ– حين قلت ذلك ولم يرجع إليّ شيئاً ثم سمعته وهو مول يضرب فخذه وهو يقول : وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً[4]" .

المخاطِب : الله سبحانه وتعالى .

المخاطَب : الإنسان الكافر، وقيل المراد به : النضر بن الحرث؛ وقيل : أبي بن خلف، والظاهر أنه لفظٌ يدل على العموم فيشمل جميع الناس[5] .

---

(١) سورة : الكهف / ٥٤ .

(٢) التفسير الوسيط – مجمع البحوث ٥/ ٨٢٦ .

(٣) تفسير ابن كثير ٥/ ١٧١ .

(٤) تفسير السراج المنير ، لمحمد بن أحمد الشربيني ٢/ ٣٠٤ – دار الكتب العلمية (بيروت) .

(٥) ينظر: فتح البيان في مقاصد القرآن ، لأبي الطيب محمد صديق خان الحسيني القِنَّوجي (المتوفي: ١٣٠٧هـ) ٨/ ٧٠ – المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنَّشْر، (صَيدَا) ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

موضوع الخطاب : بيان طبيعة الإنسان التي تتميز بالمِراء والخصومة ، فلا تنيب الى حق، ولا تنزجِر بموعظة .

المراد بالإنسان : تباينت آراء المفسرين في المراد بالإنسان في هذه الآية الكريمة ؛ فالزجاج يرى أن المراد به هنا : "الكافر، واستدل عليه بقوله تعالى (ويجادل الذين كفروا بالباطل) [(١)]".

فهذه الآية نزلت "في الكفار المشركين الذين يجادلون في القرآن، فيقول بعضهم: شعر. ويقول بعضهم: سحر. ويقول بعضهم: كهانة. إلى غير ذلك. ويدل على أنها في الكفار: أول الآية، وهو قوله: ﴿ وَلَقَد صَرَّفْنَا فِي هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ ﴾ أي المكذِّب بالقرآن الذي لم يَعْتَبِر بأمثاله ﴿ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلاً ﴾ [(٢)]"

فالقرينة اللغوية هي الدليل والحجة في هذا الرأي .

"وقيل المراد به في الآية النضر بن الحرث؛ وقيل أراد أبي بن خلف، والظاهر العموم وأن هذا النوع أكثر شيء يتأتى منه الجدل جدلاً، ويؤيد هذا ما ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث عليّ أن النبي صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمة ليلاً فقال ألا تصليان، فقلت يا رسول الله إن أنفسنا بيد الله إن شاء أن يبعثنا بعثنا، فانصرف حين قلت ذلك ولم يرجع إليّ شيئاً، ثم سمعته يضرب فخذه ويقول ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلا ﴾[(٣)]".

والسياق على هذا الرأي سياق مقامي أو حالي ؛ حيث يعتمد على سبب نزول هذه الآية .

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن ٨/ ٧٠ .

(٢) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير ، لمحمد الأمين بن محمد الشنقيطي (المتوفي: ١٣٩٣هـ) ت : خالد بن عثمان السبت ٣/ ١٥٣ – دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع (مكة المكرمة) ط : ٢ : ١٤٢٦هـ .

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن ٨/ ٧٠ .

ويرى البعض أن الإنسان يراد به هنا عموم البشر ؛ فيشمل المسلم وغيره[1] .

وهذا الرأي هو الأولى بالقبول لأن لكون هذه الصفية سجية وطبيعة في كل الناس إلا من عصمه الله تعالى ؛ فالإنسان يحب الجدال والمحاورة في كل الأمور ، كثير الخصومة ؛ فهو معنى إنساني عام .

﴿ جَدَلًا ﴾

أصل المعنى : إحكام فتل الشيء ، واستعمل للدلالة على : المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة ، والمغالبة ، وشدّة الخصومة بالباطل ، وضرب عُرض الْحَدِيد حَتَّى يُدَمْلَجَ ؛ وَهُوَ أَن يُضرب حُرُوفه حَتَّى يستدير[2].

والمراد بالجدل في هذه الآية الكريمة أنه : كثير الخصومة والتنازع في الرأي ، والمحاورة ومحاولة كل طرف أن يثبت صِدْق مذهبه وكلامه ، والجدل إما أن يكون بالباطل لتثبيت حجة الأهواء وتراوغ لتبرر مذهبك ولو خطأً ، وهذا هو الجَدل المعيب القائم على الأهواء . وإما أن يكون الجدل بالحق وهو الجدل البنّاء الذي يستهدف الوصول إلى الحقيقة ، وهذا بعيد كل البعد عن التحيّز للهوى أو الأغراض .

وفي هذه الآية الكريمة دلالة على أن الإنسان أكثر الكائنات جدلًا وعنادًا وَمُعَارَضَةً لِلْحَقِّ بِالْبَاطِلِ[3] .

(١) ينظر : الكشف ، للثعلبي ٦/ ١٧٨ ، ومختصر تفسير البغوي المسمى بمعالم التنزيل ٥/ ١٤ ، والمحكم والمحيط الأعظم ٨/ ٥٥٢ .

(٢) ينظر : تهذيب اللغة ١٠/ ٣٤٤ ، ومعجم متن اللغة ١/ ٤٨ ، ومعجم اللغة العربية المعاصرة ١/ ٣٥٢ ، والمعجم الاشتقاقي المؤصل ١/ ٢٨٨ (ج د ل) .

(٣) تفسير الشعراوي ١٤/ ٨٩٤٠ بتصرف.
ويراجع: تفسير الطبري ١٥/ ٣٠٠) ، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٣/ ٥٢٤.

الآية الحادية عشرة

﴿ خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٍۚ سَأُوْرِيكُمۡ ءَايَٰتِي فَلَا تَسۡتَعۡجِلُونِ ﴾[1] .

السياق العام للسورة : يدور سياق هذه السورة الكريمة حول " بيان أصول العقيدة الإسلامية ومبادئها وهي التوحيد، والرسالة النبوية، والبعث والجزاء، وقد بدأت بوصف أهوال القيامة، ثم ذكرت قصص جملة من الأنبياء الكرام عليهم السلام[2]" .

السياق العام للآية : يبين الله – عزَّ وجل – في هذه الآية الكريمة أن المشركين إذا أتتهم آية من عند الله كفروا بها ، وكلما توعدهم الله بالعقاب بالعذاب الأليم تهكموا وأنكروا ذلك بقولهم : متى هذا الوعد إن كنتم صادقين؟ ثم نهاهم الله تعالى عن هذا التعجل بوقوع العذاب ، وأكد لهم أن هذا الأمر واقعٌ لا محالة ، ثم أرشد إلى أن العجلة من طبيعة الإنسان التي جبل عليها[3] .

المخاطِب : الله سبحانه وتعالى .

المخاطَب : قيل : آدم عليه السلام ، وقيل : النضر بن الحارث ، وقيل : جميع الناس.

موضوع الخطاب : وصف الإنسان بأن خلق من عجل ، أو العجلة من طبيعة الإنسان .

المراد بالإنسان "في المراد بالإنسان ها هنا ثلاثة أقوال: أحدها: النضر بن الحارث، وهو الذي قال: اللَّهُمَّ إِنْ كانَ هذا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ أَوِ ائْتِنا بِعَذابٍ أَلِيمٍ ، رواه عطاء عن ابن عباس. والثاني: آدم عليه السلام، قاله سعيد بن جبير، والسدي في آخرين. والثالث: أنه اسم جنس، قاله علي بن أحمد النيسابوري فعلى هذا يدخل النّضر بن الحارث وغيره في هذا وإن كانت الآية نزلت فيه[4]".

---

(١) سورة : الأنبياء / ٣٧ .

(٢) التفسير المنير للزحيلي ١٧/ ٦ .

(٣) ينظر : تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ، لمحمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري ٦٦/١٨ – دار طوق النجاة (بيروت) ط : ١ : ١٤٢١هـ – ٢٠٠١ م .

(٤) زاد المسير في علم التفسير ٣/ ١٩٠ ، ١٩١ . ويراجع : تفسير الفخر الرازي ١٤٤/٢٢ ، ١٤٦، وتفسير السمعاني ٣٨٠/٣ ، والبحر المديد ٤/ ٥١٣ .

﴿ عَجَل ﴾

تعنى : السرعة وعدم البطء ، أو الطين والحمأة[١].

وقال غالبية المفسرين بالمعنى الأول للعجلة ، وهو : التعجيل والسرعة ، ورأي البعض بأن المراد بها المعنى الثاني ، وهو : الطين بلغة حمير ، ورأي بعض آخر بأن المراد بها: الضعف .

وعلى المعنى الأول يكون "معناه أن بنيته وخلقته من العجلة وعليها طبع ، وقيل لما دخل الروح في رأس آدم وعينيه نظر إلى ثمار الجنة فلما دخل في جوفه اشتهي الطعام فوثب قبل أن تبلغ الروح إلى رجليه عجلاً إلى ثمار الجنة ، فوقع فقيل خلق الإنسان من عجل خلق الإنسان من عجل وأورث بنيه العجلة وقيل وعلى المعنى الأول يكون "معناه خلق الإنسان من تعجيل في خلق الله إياه ، لأن خلقه كان بعد كل شيء في آخر النهار يوم الجمعة ، فأسرع في خلقه قبل مغيب الشمس فلما أحيا الروح رأسه قال يا رب استعجل بخلقي قبل غروب الشمس ، وقيل خلق بسرعة وتعجيل على غير قياس خلق بنيه لأنهم خلقوا من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة أطواراً طوراً بعد طور[٢]".

وأما المعنى الثاني ؛ فيكون معناه : أن الإنسان خلق من طين . وهذا المعنى ورد عن حمير ، ولا مناسبة له هنا[٣] .

---

(١) ينظر : تهذيب اللغة ١/ ٢٣٧ ، والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ٥/ ١٧٦٠ ، والمحكم والمحيط الأعظم ١/ ٣٢٤ ، وشمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ٧/ ٤٣٨١ ، ولسان العرب ١١/ ٤٢٥ ، والمصباح المنير ٢/ ٣٩٤ ، والمعجم الاشتقاقي المؤصل ٣/ ١٤١٣ (ع ج ل) .

(٢) تفسير الخازن ٤/ ٢٩٤ ، ٢٩٥ .

(٣) ينظر : البحر المديد ٤/ ٥١٣ .
ويراجع : تفسير السمعاني ٣/ ٣٨٠ ، وتفسير السراج المنير ٢/ ٣٩٦ ، والتكملة والذيل والصلة ، للحسن بن محمد بن الحسن الصغاني (المتوفي: ٦٥٠ هـ) ٥/ ٤٣٥ – مطبعة دار الكتب (القاهرة) .

الآية الثانية عشرة

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَحۡيَاكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ﴾(١).

السياق العام للسورة :

السياق العام لهذه السورة الكريمة يدور حول الاستدلال بخلق الإنسان بأطواره المتعددة ، وبإبداع الخالق – جلَّ وعلا – في خلقه للسموات والأرضين ، وبقدرة الله على إحياء البشر للبعث، وعلى وجوده تعالى ووحدانيته، ثم تنبيه الأفكار على الالتفات لأحوال أهل القرى الظالمة التي أهلكها الله، والاتعاظ بها بسبب تكذيبهم الرسل(٢).

السياق العام للآية :

ذكر الزحيلي في تفسير هذه الآية الكريمة أن الله – عزَّ وجل هو " الذي أحياكم من العدم، وخلقكم بعد أن لم تكونوا شيئا يذكر، ثم يميتكم عند انقضاء آجالكم وأعماركم، والموت ستر ونعمة، ثم يحييكم بالبعث يوم القيامة. ويلاحظ اختيار الصيغ المناسبة للتعبير، فهو أولا عبر بالماضي لأنه تم وحدث، ثم أشار إلى المرحلة المرتقبة وهو الموت، ثم الحياة الجديدة في عالم الآخرة(٣)".

موضوع الخطاب : الاسْتِدْلَالُ عَلَى الْبَعْثِ .

﴿ الْحَيَاة ﴾

"الحَياة: ضد الموت ، والحَيُّ: ضدُّ الميّت(٤)" . ويقال : "الحَيَاة الطَّيِّبَةُ : الرِّزْقُ الحَلالُ أَو الجَنَّةُ(٥)".

وذكر الإمام الراغب أن الحَياةُ تُسْتَعْمل على أَوْجُهٍ :

---

(١) سورة : الحج / ٩٩ .
(٢) التفسير المنير ، للزحيلي ١٧/ ١٤٨ بتصرف .
(٣) التفسير المنير ، للزحيلي ١٧/ ٢٦٥ .
(٤) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ٦/ ٢٣٢٣ .
(٥) القاموس المحيط صـ : ١٦٤٩ .

الأولى : للقوَّةِ النامِيَةِ المَوْجودَةِ في النَّباتِ والحَيَوانِ ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ﴾[1].

والثَّانِيَة : للقوَّةِ الحسَّاسةِ ، وبه سُمِّي الحَيَوانُ : حَيَواناً .

والثَّالِثَةُ : للقوَّة العاقِلَةِ ، ومنه قوْلُه تعالى : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ ﴾[2].

والرَّابعَةُ : عبارَةٌ عن ارْتِفاعِ الغَمِّ .

والخامِسَةُ : الحَياةُ الأُخْرويَّة الأبَدِيَّة ، وذلكَ يتوصلُ إليها بالحَيَاةِ التي هي العَقْلُ والعِلْم ، ومنه قوْلُه تعالى : ﴿ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴾[3].

والسَّادِسَةُ : الحَياةُ التي يُوصَفُ بها البارِي تعالى ، فإنَّه إذا قيلَ فيه تعالى إنَّه حيٌّ فمعْناه لا يصحُّ عليه المَوْتُ وليسَ ذلِكَ إلاَّ للهِ تعالى[4] .

والمراد هنا : المعنى الأصلي للحياة ، فهي التي ضد الموت .

وأما الموت فمن معانيه : "زوالُ الحياة عمن اتَّصف بها[5]**" . ويطلق أيضًا على : السُكُونُ، والنَّوْمُ، والبِلَى**[6] .

وذكر سَلَمة بن مُسْلِم العَوْتبي الصُحاري أن لـ"لموت ثلاثة عشر وجهاً: موت نفس، وموت نوم، وموت عضو، وموت فقر، وموت شدة وغم، وموت غَيْرَة، وموت جَهْل، وموت جماد، وموت سُكْر، وموت غشي، وموت فرق، وموت نطفة، وموت صنم[7]**"**.

---

(١) سورة الأنبياء /٣٠ .

(٢) سورة الأنعام /١٢٢ .

(٣) سورة الفجر /٢٤ .

(٤) ينظر : تفسير الراغب الأصفهاني (المتوفي: ٥٠٢هـ) ت : د. محمد عبد العزيز بسيوني ١/ ١٣٤ – كلية الآداب ، جامعة طنطا – ط : ١ : ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م ، وتاج العروس ٣٧/٥٠٧.

(٥) التعريفات الفقهية ، لمحمد عميم الإحسان البركتي صـ : ٢٢٠ – دار الكتب العلمية – ط : ١ : ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م .

(٦) ينظر : التكملة والذيل والصلة ١/ ٣٤١ .

(٧) الإبانة في اللغة العربية ، لسَلَمة بن مُسْلِم العَوْتبي الصُحاري ٤/ ٢٩٥ ، ٢٩٦ – وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عمان – ط: ١، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م .

فـ"قد يُسْتَعارُ الْمَوْت للأَحوالِ الشَّاقّةِ، كالفَقْرِ، والذُّلِّ، والسُّؤالِ، والهرم، والمَعْصِيَةِ وغيرِ ذلك[١]".

والمعنى المراد للحياة والموت الذى يتناسب مع السياق العام للسورة ، والسياق العام للآية هنا – سواء السياق المقامي أو اللغوي– : أن الحياة : نقيض الموت ، وأما الموت في الآية الكريمة فيراد به : زوالُ الحياة عمن اتَّصف بها ؛ فهو سلب للحياة . يؤكد هذا قول الإمام الطبري : "يقول تعالى ذكره: والله الذي أنعم عليكم هذه النعم، هو الذي جعل لكم أجساما أحياء بحياة أحدثها فيكم، ولم تكونوا شيئا، ثم هو يميتكم من بعد حياتكم فيفنيكم عند مجيء آجالكم، ثم يحييكم بعد مماتكم عند بعثكم لقيام الساعة[٢]".

وقول الإمام الشعراوي :" والإحياء الأول في آدم – عليه السلام – حين خلقه ربه وسوّاه ونفخ فيه من روحه ، ثم أوجدنا نحن من ذريته . ﴿ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ...﴾ [الحج : ٦٦] وكما أن الخَلْق آية من آيات الله ، فكذلك الموت آية من آيات الله ، نراها ونلمسها ، وما دُمْتَ تُصدِّق بآية الخَلْق وآية الموت ، وتراهما ، ولا تشك فيهما ، فحين نقول لك إن بعد هذا حياة أخرى فصدِّق؛ لأن صاحب هذه الآيات واحد ، والمقدمات التي تحكم أنت بصدقها يجب أنْ تؤدي إلى نتيجة تحكم أيضاً بصدقها ، وها هي المقدمات بين يديك صادقة [٣]".

ويرى الجنيدي أن المراد هنا أن الله – تعالى – هو الذى "أحياكم بمعرفته ، ثم يميتكم أوقات الغفلة والفترة ، ثم يحييكم بالجذب بعد الفترة ثم يقطعكم عن الجملة ، ويوصلكم إليه حقيقة ، إن الإنسان لكفور يعد ما له وينسى ما عليه[٤]".

---

(١) تاج العروس ٥/ ١٠٠ .
(٢) تفسير الطبري ١٨/ ٦٧٨ .
(٣) تفسير الشعراوي ٩٩١٦/١٦.
(٤) تفسير السلمي ، لأبي عبد الرحمن محمد السلمي (المتوفي سنة ١٤١٢هـ) ت : سيد عمران ٢/ ٢٧ – دار الكتب العلمية (بيروت) ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م .

﴿ لَكَفُور ﴾

سبق بيان معنى (لكفور) من الناحية اللغوية ، وكذلك بيان آراء المفسرين في المراد من معناها[١].

ويمكن أن نضيف إلى ذلك أن الإنسان ينكر نعم الله تعالى عليه على الرغم من "تعداد نعم المُنعم بجلائل النعم المقتضية انفراده باستحقاق الشكر واعتراف الخلق له بوحدانية الربوبية[٢]" .

والتوكيد بحرف التوكيد والنصب ، وكذلك الجملة الاسمية يوحى بتنزيلهم منزلة المنكر[٣] .

وعليه فالمراد هنا : الإنسان " الكافر ، الجاحد لآيات الله تعالى الدالة على توحيده[٤]" .

الآية الثالثة عشر

﴿ وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنۡ عِبَادِهِۦ جُزۡءًاۚ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ مُّبِينٌ ﴾[٥].

السياق العام للسورة: تدور أحداث هذه السورة الكريمة حول ذكر العقبات التي وضعها المشركون في طريق الدعوة الإسلامية، وكيف أن الله– تعالى– قد أعطى نبيه – ﷺ– السلاح الذي من خلاله يستطيع أن يزيل هذه العقبات ، كما أبرزت هذه السورة أيضًا مظاهر قدرة الله– تعالى– ونعمه على خلقه ، وذكرت جانبًا من قصص بعض الأنبياء. كإبراهيم وموسى وعيسى– عليهم السلام– لتسليته ﷺ عما لحقه من أذى المشركين، كما اهتمت بالمقارنة بين عاقبة الأخيار والأشرار، وبإقامة البراهين الساطعة على وحدانية الله– عز وجل– إلى غير ذلك من المقاصد[٦].

---

(١) ينظر : صـ : في هذا البحث .
(٢) التحرير والتنوير ١٧/ ٣٢٦ .
(٣) ينظر : التحرير والتنوير ١٧/ ٣٢٦ .
(٤) الوجيز ، للواحدي صـ : ٧٤٠ .
(٥) سورة : الزخرف / ١٥ .
(٦) التفسير الوسيط ، للطنطاوي ١٣/ ٥٧ بتصرف .

السياق العام للآية : لمَّا ذكر الله – سبحانه وتعالى – أن هؤلاء الكافرين "يعترفون بالألوهية، وأنه خالق السموات والأرض أردف هذا ببيان أنهم متناقضون مكابرون، فهم مع اعترافهم لله بخلق السموات والأرض، يصفونه بصفات المخلوقين ، المنافية لكونه خالقًا لهما، إذ جعلوا الملائكة بنات له، ولا غرو، فالإنسان من طبعه الكفران، وجحود الحق[١]" .

المخاطِب : الله سبحانه وتعالى .

المخاطَب : الكفار .

موضوع الخطاب : "نفي الشريك والولد عن الله – جلَّ وعلا – [٢]".

المراد بالإنسان: يرى جمهور علماء التفسير أن المراد بالإنسان هنا : الكافر ، وهو الرأي الصحيح؛ وذلك لدلالة السياق اللغوي عليه ، وهو قوله تعالى ﴿ وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنۡ عِبَادِهِۦ جُزۡءًاۚ﴾؛ فالكفار هم من جعلوا لله جزءً، وكذلك قوله تعالى: ﴿لَكَفُورٞ مُّبِينٌ﴾، بالإضافة إلى السياق العام للسورة والآية. ويرى البعض أن (أل) في (الإنسان) للعهد؛ وعليه فالمراد به إنسان كافر محدد معروف معهود.

"قال ابن عباس : يريد الأسود بن عبد الأسد وأبا جهل بن هشام والعاص بن هشام وجماعة من المشركين[٣]".

وقيل : إن المراد بالإنسان جميع الناس؛ وذلك لأنه يغلب على جميع البشر كفر النعم؛ كما قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]. وهذا الرأي مرجوح

﴿ لَكَفُور ﴾

سبق بين معنى في (لَكَفُور) ، و (مُبِين) في هذا البحث[٥] ، والمراد بهما هنا: شديد الكفر ، والمظهر كفره في أقواله الصريحة التي تحتم وتوجب كفره.

---

(١) تفسير المراغي ٢٥/ ٧٥ .

(٢) التفسير الوسيط ، للزحيلي ٣/ ٢٣٥٢ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٢/ ٩٣ .

ويراجع : تفسير البحر المحيط ٨/ ١٠ ، وتفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ٢٦/ ١٨٧ .

(٤) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ١٢/ ٩٣ .

(٥) ينظر : صـ : .

قال الطاهر بن عاشور: "وجملة ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴾ تذييل يدل على استنكار ما زعموه بأنه كفر شديد ... والمُبينُ : المُوضِّح كفرَه في أقواله الصريحة في كفر نعمة الله[1]".

وقال ابن عجيبة: "لَكَفُورٌ مُبِينٌ لَجَحود للنعمة، ظاهر الكفران، مبالغ فيه لأن نسبة الولد إليه أشنع الكفر. والكفر أصل الكفران كله[2]".

الآية الرابعة عشر

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾[3] .

السياق العام للسورة :

هذه السورة "تهتم بالجانب التشريعي للأمة، ولا سيما تنظيم الأسرة النبوية، وإبطال بعض عادات الجاهلية كالتبني ، والظهار ، واعتقاد وجود قلبين للإنسان، وعدم إيجاب العدّة على المطلقة قبل الدخول، وفرض الحجاب على نساء النبي – ﷺ – ونساء المؤمنين، وبيان خطورة أمانة التكليف[4]".

---

(١) التحرير والتنوير ٢٥/ ١٧٧ .

(٢) البحر المديد ٥/ ٢٣٩ .

ويراجع : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٥/ ٤٣، والجامع لأحكام القرآن ١٢/ ٩٣، وتفسير البيضاوي صـ: ١٤١، واللباب في علوم الكتاب ١٤/ ١٤٢، والبحر المديد ٤/ ٦٤٣، والتحرير والتنوير ١٧٧/٢٥، وأيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، لجابر بن موسى الجزائري ٤/ ٦٣٢– مكتبة العلوم والحكم (المدينة المنورة) ط : ٥ : ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م .

(٣) سورة : الأحزاب / ٧٢ .

(٤) التفسير المنير ، للزحيلي ٢١/ ٢٢٥ ، ٢٢٦ .

السياق العام للآية :

معنى الآية : أن الله – تعالى – عرضَ على الكائنات كلها وعلى السماء والأرض والجبال أن تتحمل الأمانات ، فأبت كل تلك المخلوقات أن تتحملها وقبلت أن تكون مسخرة لا اختيار لها باستثناء الإنسان الذي قَبِلَ تحملها ؛ وذلك لأنه يملك قوة التفكير فيستطيع الاختيار بين البدائل المختلفة من خلال عقله الذي ميّزه الله به ومن هنا فقد ظلم الإنسان نفسه ؛ لأنه تحمل ما لا يقدر على أدائه ، ولا يستطيع تحمله ، وجهولٌ ؛ لأنه لم يعرف كيف يُفرّق بين وعده بقدرته على الأداء وبين قدرته الحقيقية على التحمُّل وفعل ذلك وتحقيقه على أرض الواقع(١).

المخاطِب : الله سبحانه وتعالى .

المخاطَب : قيل : آدم عليه السلام ، وقيل : جميع الناس .

موضوع الخطاب : ظلم الإنسان لنفسه بقبوله تحمل الأمانات .

المراد بالإنسان :

وضَّحَ الإمام الماوردي المراد بالإنسان هنا فقال " فيه قولان: أحدهما: جميع الناس، قاله ثعلب. الثاني: أنه آدم ثم انتقلت منه إلى ولده ، قاله الحسن. روي عن معمر عن الحسن أن الأمانة لما عرضت على السموات والأرض والجبال قالت: وما فيها؟ قيل لها: إن أحسنت جزيت وإن أسأت عوقبت فقالت: لا. قال مجاهد: فلما خلق الله آدم عرضها عليه قال: وما هي؟ قال: {إن أَحْسَنْتَ آجَرْتُكَ وَإنْ أَسَأْتَ عَذَّبْتُكَ} قال تحملتها يا رب. قال مجاهد: فما كان بين أن تحملها إلى أن خرج من الجنة إلا قدر ما بين الظهر والعصر(٢)".

وعلى كون المراد بالإنسان جميع الناس يكون المعنى : ظلم الإنسان بالعصيان ويجهل ما عليه من العقاب ، وعلى كون المراد بالإنسان آدم – عليه السلام – يكون المراد منه ظلم آدم لنفسه بالمخالفة ولم يعلم ما يعاقب عليه من الإخراج من الجنة(٣) .

---

(١) ينظر : تفسير الشعراوي ٢/ ١٢٢٦ .

(٢) تفسير الماوردي ٤/ ٤٣٠ .

(٣) تفسير الفخر الرازي ١٨٨/٢٥ بتصرف .

﴿ عَرَضْنَا ﴾

العرض يأتي بمعنى : الإظهار والإبراز ، والإبانة ، وبسط الموضوع وطرحه ، والاختيار ، وإبداء الاستعداد للفعل ، والقراءة عن ظهر قلب[1] .

وقد اختلف المفسرون في بيان المراد بالعرض في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ... ﴾ على وجوه ، ذكرها الماوردي ؛ فقال : "وفي عرض هذه الأمانة ثلاثة أقاويل: أحدها: أن عرضها هو الأمر بما يجب من حفظها وعظم المأثم في تضييعها. قاله بعض المتكلمين. الثاني: الأمانة عورضت بالسموات والأرض والجبال فكانت أثقل منها لتغليظ حكمها فلم تستقل بها وضعفت عن حملها ، قاله ابن بحر. الثالث: أن الله عرض حملها ليكون الدخول فيها بعد العلم بها. واختلف قائلو هذا على وجهين: أحدهما: أنها عرضت على السموات والأرض والجبال، قاله ابن عباس، ومجاهد.
الثاني: أنها عرضت على أهل السموات وأهل الأرض وأهل الجبال من الملائكة قاله الحسن[2] ".

﴿ الْأَمَانَة ﴾

الأمانة تدل على معاني معجمية ، منها : نقيض الخيانة ، وكلّ ما فُرض على العباد، وجميع وظائف الدين وفرائضه ، وحفظ المَال بِلَا تصرف فِيهِ سَوَاء كَانَ مَاله أَو مَال غَيره سَوَاء سلطه عَلَيْهِ أَو لَا ، والطاعة، والعبادة، والوديعة، والثقة، والأمان ، والنزاهة، والصدق، والإخلاص، والثبات على العهد، والوفاء ... [3]

---

(١) ينظر : مختار الصحاح ، لأبي بكر بن عبد القادر الرازي (المتوفي: ٦٦٦هـ) صـ : ٤٦٧ المكتبة العصرية – الدار النموذجية (بيروت) ط : ٥ ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، ومعجم اللغة العربية المعاصرة ٢/ ١٤٨٠ ، والمعجم الاشتقاقي المؤصل ٣/ ١٤٤٦ (ع ر ض) .

(٢) تفسير الماوردي ٤/ ٤٢٩ ، ٤٣٠ .

(٣) ينظر : الإبانة في اللغة العربية ٢/ ١٥٧ ، ومجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار ، لمحمد طاهر بن علي الصديقي (المتوفي: ٩٨٦هـ) ت : مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ١/١٠١ – ط: ٣ : ١٣٨٧هـ – ١٩٦٧م ، تاج العروس ٣٤/ ١٨٥ ، وجامع العلوم في اصطلاحات الفنون (دستور العلماء) =

والمعنى الذى يتناسب مع السياق هنا أن الأمانة أنها تدل على : الطاعات والتكاليف والفرائض التي كلّفَ الله بها عباده وفرضها وأوجبها عليهم ، والأوامر التي أمره بها ، والنواهي التي أمره بالابتعاد عنها .

قال شمس الدين محمد بن أحمد الشربيني : "واختلف في هذه الأمانة المعروضة فقال ابن عباس : أراد بالأمانة الطاعة من الفرائض التي فرضها الله تعالى على عباده عرضها ﴿عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ﴾ على أنهم إن أدوها أثابهم وإن ضيعوها عذبهم وقال ابن مسعود : الأمانة أداء الصلوات ، وإيتاء الزكوات ، وصوم رمضان ، وحج البيت ، وصدق الحديث ، وقضاء الدين والعدل في المكيال والميزان ، وأشد من هذا كله الودائع وقال مجاهد : الأمانة الفرائض وحدود الدين. وقال أبو العالية : ما أمروا به ونهوا عنه وقال زيد بن أسلم : هو الصوم والغسل من الجنابة وما يخفي من الشرائع ، وقال عبد الله بن عمرو بن العاص : أول ما خلق الله تعالى من الإنسان فرجه ، وقال : هذه أمانتي استودعتكها ، فالفرج أمانة ، والعين أمانة ، واليد أمانة ، والرجل أمانة ، ولا إيمان لمن لا أمانة له. وقال بعضهم : هي أمانات الناس والوفاء بالعهود فحق على كل مؤمن أن لا يغش مؤمناً ولا معاهداً في شيء قليل ولا كثير وهي رواية الضحاك عن ابن عباس وجماعة من التابعين وأكثر السلف أن الله تعالى عرض هذه الأمانة على السموات والأرض والجبال فقال لهن : أتحملن هذه الأمانة بما فيها قلن : وما فيها؟[1]".

=للقاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (المتوفي: ق ١٢هـ) ٣/ ٣١١ دار الكتب العلمية (بيروت) ط: ١ : ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م ، ومعجم اللغة العربية المعاصرة ١/ ١٢٣ (أ م ن) .

(١) تفسير السراج المنير ٣/ ٢٧٥ .

ويراجع : تفسير البيضاوي صـ : ٣٨٨ ، وتفسير الخازن ٥/ ٢٧٩ ، واللباب في علوم الكتاب ١٥/ ٥٩٦ ، وتفسير السعدي صـ : ٥٤٧ .

﴿ أَشْفَقَ ﴾

هذا الفعل ورد ليدل على: الخوف على النفس، والحذر، والعناية، والجزع، والرديء من الأشياء[١] .

وسائر ما في القرآن من التركيب (أَشْفَقَ) –عدا الشَفَق– هو بمعنى الخوف[٢] .

قال شمس الدين محمد بن أحمد الشربيني : "﴿ وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا ﴾ أي : وقلن ذلك خوفاً وخشية وتعظيماً لله تعالى أن لا يقوموا بها لا معصية ومخالفة[٣]" .

وقال ابن عادل الحنبلي : " وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا " أي خفن من الأمانة أن لا يؤدينها فيلحقهن العقاب[٤]"

﴿ ظَلُوم ﴾

ظَلُوم: صيغة مبالغة من ظلَمَ: أي كثيرُ الظُّلم ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾. وأصل الظلم : وَضْع الشَّيْءِ فِي غَيْرِ موضِعه ، وله دلالات متعددة ، منها : المَيْلُ عَنِ القَصد ، ومجاوزة الحق ، والشرك ، والعصيان ، والفسق ، والنفاق ، والضرر ، وانْتِقَاصُ حَقِّ الْغَيْرِ ، والنقص ، والغصب ، والجحود ، والتكذيب ...[٥].

---

(١) ينظر : المفردات في غريب القرآن صـ : ٢٦٤ ، وشمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ٦/ ٣٥٠٦ ، ولسان العرب ١٠/ ١٨٠ ، ومجمع بحار الأنوار ٣/ ٢٣٧ ، وتاج العروس ٢٥/ ٥٠٩ ، والمعجم الاشتقاقي المؤصل ٢/ ١١٥٤ . (ش ف ق) .

(٢) المعجم الاشتقاقي المؤصل ٢/ ١١٥٥ بتصرف .

(٣) تفسير السراج المنير ٣/ ٢٣٢ .

(٤) اللباب في علوم الكتاب ١٥/ ٥٩٧ .

(٥) ينظر : الغريبين في القرآن والحديث أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي (المتوفي ٤٠١ هـ) ت : أحمد فريد المزيدي ٤/ ١٢٠٦ – مكتبة نزار مصطفي الباز (المملكة العربية السعودية) ط : ١ : ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م ، والإبانة في اللغة العربية ٣/ ٤٧١، والنظم المستعذب في تفسير غريب ألفاظ المهذب ، لأبى عبد الله محمد بن بطال الركبي ١/٣٠ – المكتبة التجارية (مكة المكرمة) ١٩٩١م ، ومعجم متن اللغة ٣/ ٦٦٤ ، ومعجم اللغة العربية المعاصرة ٢/ ١٤٤٠ (ظ ل م) .

﴿ جَهُول ﴾

صيغة مبالغة للدلالة على كثرة الجهل ، والجهل يراد به العديد من المعاني ، منها : ضد الحلم ، وضد العلم ، والحمق ، والجفاء ، والسفه ، وعدم معرفة حقيقة الشيء ، وإضاعة الحق ، والْخِفَّةُ ، وَخِلَافُ الطُّمَأْنِينَةِ ، واعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه ، وفعل الشيء بخلاف ما حقّه أن يفعل، سواء اعتقد فيه اعتقادًا صحيحًا أو فاسدا، كمن يترك الصلاة متعمدا(١) .

والمراد بـ(ظلومًا) هنا : المَيْلُ عَنِ القَصد ومجاوزة الحدّ ، وأما المراد بـ(جهولًا) : فهو عدم معرفة حقيقة الشيء ، وإضاعة الحق. وعلى ذلك يكون المراد بقوله تعالى : (ظلومًا جهولًا) في هذه الآية الكريمة :

" ثلاثة أوجه: أحدها: ظلوماً لنفسه ، جهولاً بربه ، قاله الحسن. الثاني: ظلوماً في خطيئته ، جهولاً فيما حَمَّلَ ولده من بعده ، قاله الضحاك. الثالث: ظلوماً لحقها ، قاله قتادة. جهولاً بعاقبة أمره ، قاله ابن جريج(٢)".

ومجيء قوله (جهولًا) بعد (ظلومًا) يدلُّ على ارتباط صفتي (الظلم) و(الجهل) ارتباطًا قويًّا ؛ وذلك كارتباط البرق بالرعد.

(١) ينظر : العين ٣/ ٣٩٠ ، ومقاييس اللغة ١/ ٤٨٩ ، والمفردات في غريب القرآن صـ : ٢٠٩ ، وشمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ٥/٣١١٠ ، والمصباح المنير ١/ ١١٣، والقاموس المحيط صـ : ١٢٦٧ ، وتاج العروس ٢٨/ ٢٥٦ ، ومعجم اللغة العربية المعاصرة ١/ ٤١٤ (ج هـ ل) .

(٢) تفسير الماوردي ٤/ ٤٣٠ .

ويراجع : الكشف والبيان ، للثعلبي ٨/ ٦٨ ، وتفسير الخازن ٥/ ٢٨٠ ، وتفسير السراج المنير ٣/ ٢٣٣ .

الآية الخامسة عشر

﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ (١) .

السياق العام للسورة: سورة (يس) كسائر السور المكية تتحدث عن أصول العقيدة من تعظيم القرآن الكريم، وبيان قدرة الله ووحدانيته، وتحديد مهام النبي – ﷺ– بالبشارة والإنذار، وأن النبي – ﷺ– صادق فيما يبلغه عن ربه ، وإثبات البعث بأدلة حسية مشاهدة من الخلق المبتدأ والإبداع الذي لم يسبق له مثيل(٢).

السياق العام للآية: تتحدث الآية الكريمة عن أن الإنسان بالأمس كان نطفة واليوم صار في غاية البيان وشدة الخصام يجادل في ربه وينكر قدرته على البعث، فالمنافاة العظيمة التي بين النطفة وبين الإبانة في الخصام، مع أن الله – عز وجل – خلقه من نطفة وجعله خصيما مبينا ، وفي ذلك آية من آياته جل وعلا دالة على أنه المعبود وحده، وأن البعث من القبور حق واقع(٣) .

سبب النزول: "قال مجاهد وعكرمة وعروة بن الزبير والسدي وقتادة: جاء أبي بن خلف– لعنه الله– إلى رسول الله – ﷺ– وفي يده عظم رميم، وهو يفته، ويذروه في الهواء، وهو يقول: يا محمد أتزعم أن الله يبعث هذا؟ قال صلّى الله عليه وآله وسلم: «نعم يميتك الله تعالى ثم يبعثك ثم يحشرك إلى النار» ونزلت هذه الآيات من آخر يس أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسانُ أَنَّا خَلَقْناهُ مِنْ نُطْفَةٍ إلى آخرهن(٤)".

المخاطِب : الله جل جلاله .

المخاطَب: عبدالله بن أبي، وقيل: العاص بن وائل السهمي، وقيل: أبي بن خلف الجمحي.

موضوع الخطاب : إثبات القدرة على البعث والإحياء مرةً أخرى(٥) .

المراد بالإنسان: اختلف العلماء في المراد بالإنسان في هذه الآية الكريمة "على خمسة أقوال: أحدها: أنه العاص بن وائل السهمي ، أخذ عظما من البطحاء ففته بيده ثم قال

---

(١) سورة : يس / ٧٧ .
(٢) التفسير المنير ، للزحيلي ٢٢/ ٢٨٨ بتصرف .
(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٥٨/ ٥ بتصرف .
(٤) الأساس في التفسير ٨/ ٤٦٦٥ .
(٥) ينظر : تفسير الماتريدي ١٠/ ١٢٠ .

لرسول الله – ﷺ – : أيحيي الله هذا بعد ما أرى ؟ فقال : نعم ، يميتك الله ثم يحييك ثم يدخلك نار جهنم ؛ فنزلت هذه الآيات . رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس .

والثاني: أنه عبد الله بن أبي بن سلول؛ جرى له نحو هذه القصة. رواه العوفي عن ابن عباس.

والثالث: أنه أبو جهل ابن هشام . وأن هذه القصة جرت له رواه الضحاك عن ابن عباس.

والرابع : أنه أمية بن خلف . قاله الحسن .

والخامس : أنه أبي بن خلف الجمحي. وهذه القصة جرت له قاله مجاهد وقتادة والجمهور وعليه المفسرون(١)".

"وقيل : المراد مطلق الإنسان المنكر لله تعالى ، والبعث والحشر(٢)" .

"قال ابن الخطيب : وقد ثبت في أصول الفقه أن الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ألا ترى قوله تعالى : ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾ [المجادلة : ١] نزلت في واحدة وأراد الحكم في الكل فكذلك كل إنسان ينكر الله أو الحشر هذه الآية ردّ عليه(٣)".

﴿ النُّطْفَة ﴾

النُّطْفَةُ : الماء الصّافي قلَّ أو كَثُر ، والقليلُ من الماءِ، وقِيلَ: الماءُ القليلُ يبقي في القِرْبَةِ، وقِيلَ: هي كالجِزْعِة. ، والماءُ القليلُ يبقِي في الدَّلْوِ، والماءُ الصّافِي قَلَّ أو كَثُرَ، والَّتي يكون منها الوَلدُ ، والبحر(٤) .

والمعنى المراد لكلمة (النطفة) في هذه الآية الكريمة من بين المعاني اللغوية السابقة: الماءُ الصّافِي قَلَّ أو كَثُرَ .

قال ابن جزيّ : "والنطفة : هي نطفة المني التي خلق الإنسان منها(٥)".

وقال القرطبي : "(نُطْفَةٍ): وهو اليسير من الماء ؛ نطف إذا قطر(٦)".

---

(١) زاد المسير ٧/ ٤٠ ، ٤١ .

(٢) الكشف والبيان ، للثعلبي ٨/ ١٣٧.

(٣) اللباب في علوم الكتاب ١٦/ ٢٦٤ .

(٤) ينظر : كتاب العين ٧/ ٤٣٦ ، والمحكم والمحيط الأعظم ٩/ ١٨٦ ، وتاج العروس ٢٤/ ٤١٩ (ن ط ف) .

(٥) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي صـ : ١٦٨٨ .

(٦) الجامع لأحكام القرآن ١٥/ ٥٨ .

﴿ خَصِيم ﴾

خصيم : على زنة (فعيل) وهو صيغة مبالغة من الفعل (خصِمَ) ، ومن معاني هذا الفعل : إحكام الخصومةَ والنزاع ، والجدال ، والنقاش ، والعناد ، والدفاع بالباطل[١].

﴿ مُبِين ﴾

إيضاح الشيء وإظهاره ، والقطع ، والتفضيل[٢] .

والمراد من قوله تعالى : ﴿ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾: "بيّن الخصومة ، أي : فهو على مهانة أصله، ودناءة أوله، يتصدّى لمخاصمة ربه ، ويُنكر قدرته على إحياء الميت بعدما رمّت عظامه[٣]".

"والخصيم هو الذي يُجادل ويُنكِر الحقائق؛ فإذا حُدِّث بشيء غيبي ، يحاول أنْ يدحضَ معقوليته[٤]" .

قال القرطبي : ﴿ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ أي مجادل في الخصومة مبين للحجة. يريد بذلك أنه صار به بعد أن لم يكن شيئا مذكورا خصيما مبينا. وذلك أنه أتى النبي ﷺ بعظم حائل فقال : يا محمد أترى أن الله يحيي هذا بعد ما رم! فقال النبي ﷺ : "نعم ويبعثك الله ويدخلك النار" فنزلت هذه الآية[٥]".

(١) ينظر : جمهرة اللغة ١/ ٦٠٥ ، ولسان العرب ١٢/ ١٨١ ، ومعجم اللغة العربية المعاصرة ١/ ٦٥٣ (خ ص م) .
(٢) ينظر : تهذيب اللغة ١٥/ ٣٥٥ ، ومعجم متن اللغة ١/ ٣٧٨ .
(٣) البحر المديد ٦/ ٢٤٧ .
(٤) تفسير الشعراوي ٧٨١٤/١٣ .
(٥) الجامع لأحكام القرآن ١٥/ ٥٨ .
ويراجع : اللباب في علوم الكتاب ١٦/ ٢٦٤ ، ونكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد ، لأبي العباس البسيلي التونسي (المتوفي ٨٣٠ هـ) ت : محمد الطبراني ٣/ ٤٦٦ – مطبعة النجاح الجديدة (الدار البيضاء) ط : ١ : ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م ، والتحرير والتنوير ١٤/ ١٠٢ .

الآية السادسة عشر

﴿ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴾ (١) .

السياق العام للسورة :

يدور سياق هذه السورة الكريمة حول "إقامة الأدلة على وحدانية الله– تعالى– وقدرته، وبأن هذا القرآن من عند الله– تعالى–، وبأن الرسول – صلّى الله عليه وسلم – صادق فيما يبلغه عن ربه، وبأن يوم القيامة حق لا ريب فيه.

كما اهتمت بالحديث عن مصارع الغابرين الذين استحبوا العمى على الهدى وببيان أحوالهم يوم القيامة ... وببشارة الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأحسنوا القول ، والدعوة إلى الله بأحسن البشارات وأفضلها(٢)".

السياق العام للآية :

لما بيّن الحقُّ – تبارك وتعالى – حال الكافرين في الآخرة، وذكر أنهم حينئذٍ يتبرؤون من الشركاء بعد أن كانوا معترفين بهم في الدنيا أردف ذلك ببيان أنَّ الإنسان متبدل الأحوال، متغير الأطوار، إن أحس بخير ونعمة ، انتفخت أوداجه، وصعّر خدّيه، ومشى الخيلاء، وإن أصابته محنة وبلاء، استكان ويئس من الفرج، وهذا دليل على شدة حرصه على الجمع، وشدة جزعه من الفقد(٣) .

المخاطِب : الله جلَّ وعلا .

المخاطَب : قيل الكافر على الإطلاق ، وقيل : شخص محدد اختلف في تحديده على نحو ما سنوضحه في المراد بالإنسان .

موضوع الخطاب : ذكر لبعض أحوال الكافرين وخصالهم .

المراد بالإنسان :

اتفق معظم المفسرين على أن المراد بالإنسان هنا الإنسان الكافر ، لكنهم اختلفوا في المراد بهذا الإنسان الكافر ؛ فرأي البعض أن المراد به مطلق الكافرين ، وقيل : المراد به

---

(١) سورة : فصلت / ٤٩.

(٢) التفسير الوسيط ، للطنطاوي ١٢/ ٣٢٣ .

(٣) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ٢٦/ ٨ بتصرف .

شخص كافر واحد ، واختلف في هذا الشخص ؛ فرأي البعض أنه : الوليد بن المغيرة ، وقيل : عتبة بن ربيعة ، وقيل : عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأمية بن خلف.

قال الثعالبي : "وقوله تعالى : (لا يسأم الانسان من دعاء الخير) هذه آيات نزلت في كفار ، قيل : في الوليد بن المغيرة ، وقيل : في عتبة بن ربيعة . وجل الآية يعطي أنها نزلت في كفار وإن كان أولها يتضمن خلقا ربما شارك فيها بعض المؤمنين[١]" .

وقال القرطبي : "قوله تعالى : ﴿ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ ﴾ أي لا يمل من دعائه بالخير. والخير هنا المال والصحة والسلطان والعز. قال السدي : والإنسان ها هنا يراد به الكافر ، وقيل : الوليد بن المغيرة ، وقيل : عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأمية بن خلف[٢]".

وقيل : يطلق على مطلق الإنسان : المسلم والكافر ؛ وذلك لأن الإنسان من طباعه وسجيته أنه لا يسأم من طلب الخير ، وكلما وصل فيه إلى مرتبة تمنّى أعلى منها ، أما إن أصابه شرٌ يئس وقنط ، وإنْ رفع الله عنه ورحمه قال : هذا لي أنا استحقه ، وأنا جدير به[٣] .

﴿ يَسْأَمُ ﴾

من معاني الفعل (يسأم) : الملل والضجر والإحساس بالفتور[٤] .

وهذه المعاني كلها مرادة ومقصودة في هذه الآية الكريمة .

---

(١) تفسير الثعالبي ٤/ ٩٨ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٥/ ٣٧٢ .

ويراجع : التسهيل لعلوم التنزيل صـ : ١٩٢٦ ، والبحر المديد ٦/ ٥٢٩ ، والتحرير والتنوير ٢٥/ ١٤ .

(٣) ينظر : تفسير الشعراوي ١٣/٨٠٣٠ .

(٤) ينظر : لسان العرب ١٢/ ٢٨٠ ، ومجمع بحار الأنوار ٣/ ٨ ، ٩ ، وتاج العروس ٣٢/ ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ومعجم اللغة العربية المعاصرة ٢/١٠٢٠ ، والمعجم الاشتقاقي المؤصل ٢/ ١٠٧١(س أ م) .

قال السمين الحلبى : " قوله تعالى: ﴿ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ ﴾ [فصلت: ٤٩] أي لا يمل، والسآمة: الملل، يقال: سئم زيدٌ فلانًا ومن فلانٍ. قال تعالى: {لا يسأم الإنسان من دعاء الخير}... وقيل: السآمة: الملالة مما يكثر لبثه فعلًا كان أو انفعالًا[١]".

﴿ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ ﴾

سبق بيان معنى (يَئُوسٌ) في المعاجم العربية ، أما معنى (قَنُوطٌ) فهو مصدر من الفعل (قَنَطَ) والذى يدل على : شدة اليأس ، والمنع[٢] .

والمقصود من قوله تعالى : ﴿ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ ﴾ يتجلى في قول الماوردي : "﴿ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ ﴾ يعني الفقر والمرض ، ويحتمل وجهين :

أحدهما : يؤوس من الخير قنوط من الرحمة .

الثاني : يؤوس من إجابة الدعاء ، قنوط بسوء الظن بربه[٣]" .

الآية السابعة عشر

﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴾[٤] .

السياق العام للسورة : سبق بيان السياق العام لهذه السورة الكريمة [٥].

السياق العام للآية : في هذه الآية الكريمة وصف وتذكير بضرب آخر من طغيان

---

(١) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ٢/ ١٦٢ .
ويراجع : مفردات ألفاظ القرآن ١/ ٥١٨ ، وتفسير الخازن ٦/ ١١٤ ، والأساس في التفسير ٩/ ٥٠٣٣ .

(٢) ينظر : النهاية في غريب الحديث والأثر ٤/ ١١٣ ، وتاج العروس ٢٠/ ٥٧ ، ومعجم اللغة العربية المعاصرة ٣/ ١٨٦٢ ، والمعجم الاشتقاقي المؤصل ٤/ ١٨٥٠ (ق ن ط) .

(٣) تفسير الماوردي ٥/ ١٨٨ .
ويراجع : تفسير السمعاني ٥/ ٥٩ ، والكشاف ، للزمخشري ٤/ ٢١٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١٥/ ٣٧٢ ، والأساس في التفسير ٩/ ٥٠٣٣.

(٤) سورة : فصلت /٥١ .

(٥) التفسير الوسيط لطنطاوي ٨/ ٢٧٤ بتصرف .

النفس الإنسانية غير خاص بأهل الشرك بل يشمل جميع النّاس على تفاوتٍ إلاَّ من عصمه الله . وهو توصيف لتعجّل النفْس الإنسانية وقلّة ثباتها فإذا أصاب الإنسان السراء طغا وتكبر ونسِي شكر ربّه نسياناً قليلاً أو كثيراً وَشُغل بلذاته ، وإذا أصابته الضراء لم يصبر وجزِع ولجأ إلى ربّه يُلحّ بسؤال كشف الضر عنه سريعاً[١].

المخاطِب : الله سبحانه وتعالى .

المخاطَب : سبق ذكره[٢] .

موضوع الخطاب : ذكر طبائع البشر .

المراد بالإنسان : سبق ذكره [٣].

﴿ أَعْرَضَ ﴾

من معاني (أعرضَ) :صدَّ ، وأضربَ ، وصار ذا عرض أو جعله عريضًا ، وذهب عرضًا وطولا ، ... إلخ[٤]

والمراد بالإعراض في الآية الكريمة : "الانصراف عن شيء ، وهو مستعار هنا للغفلة عن شكر المنعم أو التعمد لترك الشكر[٥]" .

﴿ النَّأْيُ ﴾

المعنى المحوري للنأي : الصرف والإبعاد بقوة[٦].

ومن المعاني التي تندرج تحت هذا المعنى التأصيلي المحوري : البُعْد ، والفراق وإن لم يكن ببُعْد ، والتكبر[٧].

---

(١) التحرير والتنوير ٢٥/ ١٤ بتصرف .

(٢) ينظر : صـ : في هذا البحث .

(٣) ينظر : صـ في هذا البحث .

(٤) ينظر : معجم ديوان الأدب ٢/ ٣٠٦ ، والمحكم والمحيط الأعظم ١/٤٠١ ، والكليات صـ : ٦٢٤ (ع ر ض) .

(٥) التحرير والتنوير ٢٥/ ١٤ .

(٦) المعجم الاشتقاقي المؤصل ٤/ ٢١٣٩ بتصرف .

(٧) ينظر : كتاب العين ٨/ ٣٩٢ ، والمجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث ٣/ ٢٥٠ ، وتاج العروس ٤٠/ ٥ ، ومعجم متن اللغة ٥/ ٣٧٧ (ن أ ي).

أما المراد والمقصود من (النَّأْي) هنا : "البعد ، وهو هنا مستعار لعدم التفكر في المنعِم عليه ، فشبّه عدم اشتغاله بذلك بالبُعد[١]" .

﴿ الْعَرِيضُ ﴾

يطلق لفظ (العريض) ويدل على : خلاف الطويل ، والكثير ، والمتسع ، وما قوي في عرض الساعد ، والجدي إذا بلغ ، والخَصِيُّ عِنْد أَهْلِ الحِجَاز ، والجُنْبَيْنِ من الدَّوابّ .... [٢]

والدعاء العريض هنا : "عبارَة عَن كثرته مجَازًا عَن عرض الْجِسْم فَإِنَّهُ إِذا طَال امتداده العرضي فالطولي أَكثر، إِذْ الطول أطول الامتدادين، وَإِذا كَانَ عرضه كَذَلِك فَمَا ظَنك بِطُولِهِ؟[٣]".

﴿ دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾

قال إسماعيل حقي الحنفي: "﴿ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾ ؛ أي : فهو ذو دعاء كثير كما يقال : أطال فلان الكلام والدعاء ، وأعرض ؛ أي : أكثر فهو مستعار مما له عرض متسع للإشعار بكثرته ، فإن العريض يكون ذا أجزاء كثيرة ، وامتداد فمعنى الاتساع يؤخذ من تنكير عريض ، فإنه يدل على التعظيم ، ومعنى الامتداد يؤخذ من معنى الطول اللازم للعرض ، وهو أي عريض أبلغ من طويل إذ الطول أطول الامتدادين فإذا كان عرضه كذلك ؛ أي : متسعاً ، فما ظنك بطوله[٤]".

---

(١) التحرير والتنوير ٢٥/ ١٥ .

(٢) ينظر : العين ١/ ٢٧٥ ، ومفاتيح العلوم ، لمحمد بن أحمد بن يوسف البلخي الخوارزمي (المتوفي: ٣٨٧هـ) ت : إبراهيم الإبياري صـ : ٢٠٦ – دار الكتاب العربي – ط : ١ ، وشمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ٧/ ٤٤٧٦ ، والقاموس المحيط صـ : ٢١٣ ، وتاج العروس ١٨/ ٤٢٦ (ع ر ض) .

(٣) الكليات صـ : ٦٢٤ .

(٤) تفسير روح البيان ٨/ ٢١٤ .

ويراجع : الكشف والبيان ، للثعلبي ٨/ ٣٠٠ ، الجامع لأحكام القرآن ٣٧٣/١٥ ، ومختصر تفسير البغوي المسمى بمعالم التنزيل ٧/ ٤٢ ، والتحرير والتنوير ٢٥/ ١٥ .

الآية الثامنة عشر

﴿ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ كَفُورٌ ﴾[1] .

السياق العام للسورة :

هذه السورة تتحدث عن الأدلة على وحدانية الله– تعالى– وقدرته، وعلى صدق الرسول – ﷺ – فيما يبلغه عن ربه، وعلى أن هذا القرآن من عند الله– تعالى–.

كذلك تتحدث عن نعم الله على عباده، وعن حسن عاقبة المؤمنين، وسوء عاقبة المكذبين وعن مشاهد يوم القيامة وما فيه من أهوال، وعن شبهات المشركين والرد عليها بما يبطلها[2] .

السياق العام للآية :

إن الله – عزَّ وجل – إذا أعطى ابن آدم السعة في الرزق والصحة أو أعطاه نعمة الأمن فرح بما أُعْطي ، أما إذا أصابه فاقة أو مرض غضب ويئس من الخير وجحد نعم الله تعالى عليه ، وكل هذا من طبعه ؛ حيث إنه من سجيته الجحود والكفران بالنعم حين الشدة[3].

المخاطِب : الله تبارك وتعالى .

المخاطَب : قيل : جميع البشر ، وقيل : الإنسان الكافر فقط .

موضوع الخطاب : من طبائع الإنسان : الفرح والتكبر في حالة السراء ، والجحود والقنوط في حالة الضراء .

المراد بالإنسان :

قيل : المراد بالإنسان هنا : جميع الناس، المؤمن والكافر، الطائع والعاصي؛ وذلك لكون (أل) في الإنسان للجنس والاستغراق، وإنما أفرده إشارة إلى كل فرد من أفراد هذا

---

(١) سورة : الشورى / ٤٨ .

(٢) التفسير الوسيط ، للطنطاوي ١٣/ ٩ بتصرف .

(٣) تفسير المراغي ٢٥/ ٦١ ، ٦٢ بتصرف .

الجنس البشرى؛ وذلك لأن كل إنسان أيا كان– مؤمنا كان أو كافرا– يفرح بالخير إذا أصابه، ويهشّ له، وتطيب نفسه به. وقيل : المراد به الإنسان الكافر أو المشرك[1] .

والرأي الأول هو الأولى بالقبول ؛ لأنه الأقرب إلى الصحة ؛ وذلك لدلالة السياق الحالي أو المقامي عليه .

﴿ رَحْمَة ﴾

من معاني الرحمة في المعاجم العربية : الحنان ، والمنفعة ، والرقة ، والعطف ، والرأفة ، والمغفرة ، والرَحِمُ ... [2]

والمراد بالرحمة في هذه الآية القرآنية الكريمة مطلق الرحمة والنعمة ، سواء أكانت نعمة الصحة ، أو نعمة المال ، أو نعمة الأمن أو غير ذلك من النعم التي لا تعدُّ ولا تحصى[3].

قال الماوردي: "﴿ رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ﴾ فيها وجهان : أحدهما : أن الرحمة المطر ، قاله مقاتل . الثاني : العافية ، قاله الكلبي[4]" .

وقال ابن عجيبة : "﴿ رَحْمَة ﴾ أي : نعمة من الصحة ، والغنى ، والأمن[5]" .

﴿ كَفُورٌ ﴾

الإنسان الكفور هو الجاحد والمنكر لنعم الله تعالى عليه ، ولا يعترف بها وبالتالي لا يؤدى شكرها ؛ فهو إما كافر بالنعمة فقط أي لا يؤدى شكرها ؛ وعليه فإن الإنسان يشمل

---

(١) التفسير القرآني للقرآن ١٣/ ٨٥ بتصرف .
ويراجع : تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ٤/ ١٧٣ ، وزاد المسير في علم التفسير ٤/ ٦٩ ، وتفسير القرطبي ١٦/ ٤٧ ، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، لمحمود الألوسي أبو الفضل ٢٥/ ٥٢ – دار إحياء التراث العربي (بيروت) ، والبحر المديد ٥/ ٢٢٨ ، وفتح القدير ٤/ ٧٧٤ .

(٢) ينظر : المنتخب من كلام العرب ، لكراع النمل (المتوفي: بعد ٣٠٩هـ) صـ : ٤١٥ – جامعة أم القرى ط: ١ ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م ، والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ٥/ ١٩٢٩ ، ولسان العرب ١٢/ ٢٣٠ (ر ح م) .

(٣) المفردات في غريب القرآن صـ : ١٩١ .

(٤) تفسير الماوردي ٥/ ٢١٠ .

(٥) البحر المديد ٦/ ٥٧٨ .

المسلم وغيره ، وإما منكر لله تعالى – والعياذ بالله – ، ومنكر لنعم الله تعالى عليه ؛ وعليه فالإنسان يقتصر على الكافر فقط .

يقول الماوردي :" ﴿ فَإِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ كَفُورٌ ﴾ يحتمل وجهين : أحدهما : بالنعمة . الثاني: بالله [(١)]".

الآية التاسعة عشر

﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾ [(٢)] .

السياق العام للسورة :

في السورة تأكيد على وقوع عذاب الله الموعود ، وتذكير بعظمة المشاهد السماوية، ووصف لأهوال يوم القيامة وما تكون عليه حالة الكفار فيه ، وتقرير لبعض طبائع الإنسان السلبية واستثناء المؤمنين المصلّين الذين يخافون الله والآخرة على اعتبار أن ذلك يحسّن هذه الطبائع ويحفّز على الخير والبرّ والعدل والحق والعفاف، وصورة من صور الاستهزاء والتهكم التي كانت تبدو من الكفّار نحو النبي، وتسلية للنبي وتنديد بالكفار بسببها[(٣)].

السياق العام للآية :

من طبائع النفس الإنسانية ميلها إلى الهلع ، وجزعها في حالة الشر ، ومنعها في حالة الخير والعطاء لكن الله – تعالى – استثنى من البشر مجموعة من المؤمنين الذين يؤدون الصلاة في أوقاتها ، والذين يجعلون في أموالهم حقًّا للسائل والمحروم إلى غير ذلك من الصفات المذكورة في هذه السورة[(٤)] .

المخاطِب : الله تبارك وتعالى .

---

(١) تفسير الماوردي ٥/ ٢١٠ ، ٢١١ .

(٢) سورة : المعارج / ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ .

(٣) التفسير الحديث ، لدروزة محمد عزت (٥/ ٣٩٢) بتصرف – دار إحياء الكتب العربية (القاهرة) ١٣٨٣هـ .

(٤) ينظر : التفسير الوسيط ، للزحيلي ٣/ ٢٧٣٥ .

المخاطَب : عموم الإنسان ، وقيل : الكافر .

موضوع الخطاب : يصف الله – تعالى – الإنسان من حيث هو، إلا من وفقه الله وهداه؛ فإن البخل والجزع والهلع صفة له[1] .

المراد بالإنسان

ما المراد بالإنسان؟ قيل : يراد به عموم أي إنسان بدليل السياق المقالي أو اللغوي ، وهو الاستثناء الوارد بعد ذلك في قوله تعالى : ﴿ إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ﴾[2] ، وقيل : يراد به الكافر بدليل السياق العام للسورة من وصف حالات خاصة بالكفار ، لكنى أرجح ان يكون المراد بالإنسان : عموم البشر ؛ بدليل السياق القرآني اللغوي ، وبدليل أن هذه الصفات يشترك فيها جميع الناس .

قال الرازي : "قال بعضهم : المراد بالإنسان ههنا الكافر ، وقال آخرون : بل هو على عمومه ، بدليل أنه استثنى منه إلا المصلين[3]".

﴿ هَلُوعًا ﴾

صفة مشبَّهة تدلّ على الثبوت من هَلَعَ ، وهذا الفعل يدل على : الحِرْصُ ، والجَزَعُ وقِلّةُ الصبرِ ، وقيل هو أَسْوأُ الجَزَعِ وأَفْحَشُه ، والشَّرهُ ، والضَّجَرُ ، والمُبْتَلِعُ ، والّذِي يَحْرِصُ ويَشِحُّ على المالِ ... [4]

وقد فرق أبو هلال العسكري بين الْخَوْف والهلع والفزع ، فقال : "أَن الْفَزع: مفاجأة الْخَوْف عِنْد هجوم غَارة أَو صَوت هدة وَمَا أشبه ذَلِك ، وَهُوَ انزعاج الْقلب بتوقع

(١) تفسير ابن كثير ٥/ ١٢٤ بتصرف .
(٢) سورة : المعارج / ٢٢ .
(٣) تفسير الفخر الرازي ٦٤٣/٣٠ .
ويراجع : معاني القرآن ، للأخفش الأوسط (المتوفي: ٢١٥هـ) ت : د / هدى محمود قراعة ٣٥/٤ – مكتبة الخانجي (القاهرة) ط : ١ : ١٤١١هـ – ١٩٩٠م ، وتفسير الطبري ٢٣/ ٦١١ ، والجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٢٨٩ .
(٤) ينظر : لسان العرب ٨/ ٣٧٤ ، وتاج العروس ٢٢/ ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ومعجم اللغة العربية المعاصرة ٣/ ٢٣٥٨ ، والمعجم الاشتقاقي المؤصل ٤/ ٢٣١٣ ، ٢٣١٤ (هـ ل ع) .

مَكْرُوه عَاجل . وَتقول : فزعت مِنْهُ . فتعديه بِمن ، وَخِفته ؛ فتعدية بِنَفسِهِ . فَمَعْنَى خفته : أَي هُوَ نَفسه خوفي . وَمعنى فزعت مِنْهُ : أَي هُوَ ابْتِدَاء فزعي بِنَفسِهِ ؛ فَمَعْنَى خفته : أَي هُوَ نَفسه خوفي . وَمعنى فزعت مِنْهُ : أَي هُوَ ابْتِدَاء فزعي ؛ لِأَن من لابتداء الغاية ... وَأما الْهَلَع فهو أَسْوَأ الْجزع ، وَقيل : الهلوع على مَا فسره الله تَعَالَى فِي قَوْله تَعَالَى (إِن الْإِنْسَان خلق هلوعا إِذا مَسّه الشَّرّ جزوعا وَإِذا مَسّه الْخَيْر منوعا) وَلَا يُسمى هلوعا حَتَّى تجمع فِيهِ هَذِه الْخِصَال[1]".

وقد اختلف المفسرون في بيان المقصود من (الْهَلَع) في هذه الآية الكريمة ، وكلها تدور في فلك المعاني المعجمية السالفة الذكر .

قال السمعاني : " ﴿ هَلُوعًا ﴾ أي : جزوعا . قال ثعلب : سألني محمد بن عبد الله بن طاهر عن هذه الآية ، فقلت : الهلع أسوأ الجزع .

وقيل : هلوعا : ضجرا . وعن الحسن : ضعيفا . وقال الضحاك : بخيلا . وعن غيرهم : حريصا[2]" .

وقد ذكر الإمام الرازي أن " الهلع لفظ واقع على أمرين : أحدهما : الحالة النفسانية التي لأجلها يقدم الإنسان على إظهار الجزع والتضرع . والثاني : تلك الأفعال الظاهرة من القول والفعل الدالة على تلك الحالة النفسانية ، أما تلك الحالة النفسانية فلا شك أنها تحدث بخلق الله تعالى ؛ لأن من خلقت نفسه على تلك الحالة لا يمكنه إزالة تلك الحالة من نفسه ، ومن خلق شجاعاً بطلاً لا يمكنه إزالة تلك الحالة عن نفسه بل الأفعال الظاهرة من القول والفعل يمكنه تركها والإقدام عليها فهي أمور اختيارية ، أما الحالة النفسانية التي هي الهلع في الحقيقة فهي مخلوقة على سبيل الاضطرار[3]".

(١) الفروق اللغوية ، لأبى هلال العسكري (المتوفي: نحو ٣٩٥هـ) صـ : ٢٤٢ – دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع (القاهرة) .
(٢) تفسير السمعاني ٦/ ٤٨ .
(٣) تفسير الفخر الرازي ٣٠/٦٤٤ .
ويراجع : الجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، والبحر المديد ٨/ ٢٠٤ .

﴿ جَزُوعًا ﴾

جَزوع : صيغة مبالغة من جزِعَ ، وهذا الفعل لها دلالات متعددة ، منها : إظهار الحزن والكدر ، وعدم الصبر على البلاء ، والإشفاق والحزن ، والخوف ، والانقطاع ، والتقطيع ، والتقسيم ... (١)

والمعاني المرادة من المعاني المعجمية السابقة لكلمة ﴿ مَنُوعًا ﴾ في هذه الآية الكريمة : عدم الصبر على البلاء ، والخوف ، وقد دلَّ على ذلك سياق الحال أو المقام المستفاد من السياق العام للسورة والسياق العام للآية .

قال شمس الدين الخطيب الشربيني :" ﴿ جَزُوعًا ﴾ أي : عظيم الجزع وهو ضد الصبر بحيث يكاد صاحبه ينقدّ نصفين ويتفتت(٢)".

وقال الألوسي : "جزوعا : أي مبالغا في الجزع مكثرا منه . والجزع قال الراغب أبلغ من الحزن فإن الحزن عام والجزع حزن يصرف الإنسان عما هو بصدده ويقطعه عنه ، وأصله : قطع الحبل من نصفه . يقال : جزعه فانجزع . ولتصور الانقطاع فيه قيل جزع الوادي لمنقطعه ولانقطاع اللون بتغيره قيل للخرز المتلون جزع ، وعنه استعير قولهم لحم مجزع إذ كان ذا لونين ، وقيل للبسرة إذا بلغ الأرطاب : نصفها مجزعة(٣)".

﴿ مَنُوعًا ﴾

صيغة مبالغة من (منَعَ) ، بمعنى : شديد المنع " ، وكلمة (المَّنع) لها دلالات متعددة ، منها : خلافُ الإعْطاءِ ، والبخيل الممسك ، وما يعترض سيرَ العمل ، وما يحول دون تحقيق شيء أو بلوغه ، وعائق قانونيّ يحول دون عقد ما– كالزواج– لانعدام أحد الشروط المطلوبة ، وتحجير الشَّيْء بمعنى منعه ، والسرطان ، ... (٤)

---

(١) ينظر : معجم اللغة العربية المعاصرة ١/ ٣٧٠ ، والمعجم الاشتقاقي المؤصل ١/ ٣٠٩ (ج ز ع) .

(٢) تفسير السراج المنير ٤/ ٢٧٩ .

(٣) روح المعاني ٢٩/ ٦٢ .

(٤) ينظر : المحكم والمحيط الأعظم ٢/ ٢٠٣ ، والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ٣/ ١٢٨٧، و لسان العرب ٨/ ٣٤٣ ، وتاج العروس ٢٢/ ٢١٨ ، ومعجم اللغة العربية=

وقد اختلف المفسرون في بيان المعنى المراد من كلمة ﴿ مَنُوعًا ﴾ فقال سعيد بن جبير : شحيحًا ، وقال عكرمة : ضجورًا ، وقال الضحاك والحسن : بخيلًا ، وقال قتادة وابن زيد : حزونًا ، مجاهد : شرهًا[١] .

وأرى أن المعنى المناسب للسياق المقامي هو : الإنسان المبالغ في الإمساك عما يلزمه من الحقوق للانهماك في حب العاجل وقصور النظر عليه وقوفاً مع المحسوس لغلبة الجمود والبلادة ، وهذا الوصف ضد الإيمان لأنه نصفان شكر وصبر[٢].

الآية العشرون

﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ﴾[٣] .

السياق العام للسورة :

تدور أحداث سورة البلد حول "التنويه بشأن مكة، لشرفها وحرمتها ووجود البيت المعظم بها، وتعداد نعم الله– تعالى– على الإنسان حتى يرجع عن عصيانه وغروره، ويخلص العبادة لخالقه، وبيان حسن عاقبة الأخيار، وسوء عاقبة الأشرار[٤]" .

السياق العام للآية :

جعل الله – تعالى – الإنسان في مكابدة ومشقة من يوم ولادته إلى يوم القيامة ، وفي هذا دلالة وإشارة إلى أَن العاقل ينبغي أَن يؤمن ويعمل صالحًا ويحسن استخدام ماله بإنفاقه في وجوه الخير كي يدخل الجنة وينعم في أُخراه؛ فيستريح من معاناة الشدائد، ولا تسلمه أَعماله القبيحة إلى النار وبئس المصير[٥].

المخاطِب : الله تبارك وتعالى .

=المعاصرة ٣/٢١٢٨ ، ٢١٢٩ ، والمعجم الاشتقاقي المؤصل ٤/ ٢١٢٨ ، ٢١٢٩ (م ن ع) .

(١) الكشف والبيان ، للثعلبي ١٠/ ٣٩ بتصرف .

(٢) تفسير السراج المنير ٤/ ٢٧٩ بتصرف .

ويراجع : تفسير السمرقندي ٣/ ٤٧ ، والبحر المديد ٨/ ٢٠٤ ، و روح المعاني ٢٩/٦٢.

(٣) سور : البلد / ٤ .

(٤) التفسير الوسيط ، للطنطاوي ١٥/ ٣٩٧ .

(٥) التفسير الوسيط – مجمع البحوث ١٠/ ١٩١٠ بتصرف .

المخاطَب : الإنسان ، وسأبين المراد به لاحقا .

موضوع الخطاب : شقاء وعناء الإنسان في الحياة الدنيا .

المراد بالإنسان

الإنسان يجوز أن يراد به الجنس وهو قولُ جمهور المفسرين وهو الأظهر والأرجح ؛ وذلك لأن (أل) لتعريف الجنس ، وعليه يكون المراد به خصوص أهل الشرك لأن قوله : ﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴾ (البلد : ٥) إلى آخر الآيات لا يليق إلا بأحوال غير المؤمنين ، فالعموم عموم عرفي ، أي الإنسان في عُرف الناس يومئذ ، ولم يكن المسلمون إلا نفراً قليلاً ولذلك كثر في القرآن إطلاق الإنسان مراداً به الكافرون من الناس .

وقيل : يجوز أن يراد به إنسان معيّن ، وذلك لكون (أل) لتعريف العهد ، فعن الكلبي أنه أبو الأشدّ ، ويقال : أبو الأشَدّيْن ، واسمه : أُسَيْد بن كَلْدَةَ الجُمَحِي كان معروفاً بالقوّة والشدة يجعل الأديم العُكَاظي تحت قدميه فيقول : من أزالني فله كذا . فيجذبه عشرةُ رجال حتى يمزَّق الأديم ولا تزول قدماه ، وكان شديد الكفر والعداوة للنبي – ﷺ – فنزل فيه : ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ (البلد : ٥)، وقيل : هو الوليد بن المغيرة ، وقيل : هو أبو جهل . وعن مقاتل : نزلت في الحارث بن عامر بن نوفل ، زعم أنه أنفق مالاً على إفساد أمر النبي – ﷺ– ، وقيل : هو عمرو بن عبد ودّ الذي اقتحم الخندق في يوم الأحزاب ليدخل المدينة فقتله علي بن أبي طالب خلْف الخندق .
وليس لهذه الأقوال شاهد من النقل الصحيح ولا يلائمها القَسَم ولا السياق[١] .

"وقيل : يراد بالإنسان هنا ابن آدم ؛ وذلك لكونه في شدة وعناء من مكابدة الدنيا إلى يوم القيامة" . وهو الرأي الراجح[٢]" .

(١) التحرير والتنوير ٣٠/ ٣٥٠ بتصرف .
(٢) الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٦٢ . ويراجع : معاني القرآن للفراء ٥/ ٢١٠ .

﴿ كَبَد ﴾

الشدة والمشقة ، والوسط من كل شيء ، ومكابد الإنسان أمره في الدنيا والآخرة، وخلق الإنسان منتصبا غير منحن كسائر الحيوان ، والضيق[1].

والمعنى المراد من تلك المعاني السابقة لكلمة (كبد) والذي يتناسب مع السياق هنا : الشدة والمشقة ، ومكابد الإنسان أمره في الدنيا والآخرة ، وخلقه منتصبًا غير منحن كسائر الحيوان .

قال ابن عادل الحنبلي : "قال ابنُ عباسٍ والحسنُ : " في كبدٍ " أي : في شدة ونصبٍ وعن ابن عباسٍ أيضاً : في شدّة من حمله ، وولادته ، ونبت أسنانه ، وسائر أحواله .

وروى عكرمةُ عنه : قال : منتصباً في بطن أمه ، والكبدُ : الاستواء ، والاستقامة ، فهذا امتنان عليه في الحقيقة ، ولم يخلق الله تعالى دابة في بطن أمها إلاَّ منكبةً على وجهها إلا ابن آدم ، فإنه منتصب انتصاباً . وهو قول النخعي ومجاهد وغيرهما .

وقال يمان : لم يخلق اله تعالى خلقاً يكابد ابن آدم ، وهو مع ذلك أضعف الخلق . وقال ابن كيسان : منتصباً في بطن أمه ، فإذا أراد الله تعالى أن يخرجه من بطن أمه قلب رأسه إلى رجل أمه . وقال الحسن : كابد مصائب الدنيا ، وشدائد الآخرة .

قال بعضُ العلماء : أول ما يكابدُ قطع سرته ، ثم إذا قمط قماطاً ، وشد رباطاً ، يكابد الضيق والتعب ، ثم يكابد الارتضاع ، ولو فاته لضاع ، ثم يكابد نبت أسنانه ، وتحرك لسانه ، ثم يكابد الفطام الذي هو أشد من اللطام ، ثم يكابد الخِتَان ، والأوجاع والأحزان ، ثم يكابد المعلم وصولته ، والمؤدب سياسته ، والأستاذ وهيبته ، ثم يكابد شغل التزويج ، ثم يكابد شغل الأولاد ، والأجناد ، ثم يكابد شغل الدُّور ، وبناء القصور ، ثم الكِبر والهرم ، وضعف الركبة والقدم ، في مصائب يكثر تعدادها ونوائب يطول إيرادها ، من صداع الرأس ، ووجع الأضراس ، ورمد العين ، وغم الدَّينِ ، ووجع السن ، وألم الأذُنِ ، ويكابد مِحَناً في المال ، والنفس ، مثل الضرب والحبس ، ولا يمر عليه يوم إلا يقاسي فيه شدة ، ثم يكابد بعد ذلك مشقة الموت ، ثم بعد ذلك مساءلة الملك ، وضغطة القبر وظلمته ، ثم البعث ،

(١) ينظر : الغريبين في القرآن والحديث ٥/ ١٦٠٨ ، ومقاييس اللغة ٥/ ١٥٣ ، والمصباح المنير ٢/ ٥٢٣ ، ومعجم متن اللغة ٥/ ١٠ ، والمعجم الاشتقاقي المؤصل ٤/ ١٨٦٢ (ك ب د) .

والعرض على الله ، إلى أن يستقر به القرار ، إما في الجنة أو في النار ، قال تعالى : (لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ (فلو كان الأمر إليه ، ما اختار هذه الشَّدائد ، ودل هذا على أن له خالقاً دبره ، وقضى عليه بهذه الأحوال ، فليتمثل أمره . وقال ابن زيد : المراد بالإنسان هنا آدم عليه السلام[1]".

فالذي يتناسب مع السياق والقسم أن الكبد : التعب الذي يلازم أصحاب الشرك من اعتقادهم تعدد الآلهة ، واضطرابُ رأيهم في الجمع بين ادعاء الشركاء لله تعالى وبين توجّههم إلى الله بطلب الرزق وبطلب النجاة إذا أصابهم ضر ، ومن إحالتهم البعث بعد الموت مع اعترافهم بالخلق الأول[2].

الآية الحادية والعشرون

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَـٰهُ أَسْفَلَ سَـٰفِلِينَ ﴾[3].

السياق العام للسورة :

ذكر الله "في هذه السورة حال النوع الإنساني وما ينتهي إليه أمره من التدني ودخول جهنم إن عادى رسول اللَّه – ﷺ– ، أو دخول الجنة إن آمن به وعمل صالحا[4]".

السياق العام للآية :

يتجلّى إبداع صنع الله تعالى وقدرته في خلق الإنسان في أحسن تقويم ؛ أي : في اعتدال قامتِه ، وحُسْنِ تركيب أعضائه . وهذا يدل على أنَّ الحقَّ – سبحانه – ليس له

(١) اللباب في علوم الكتاب ٢٠/ ٣٤٣ .
(٢) التحرير والتنوير . الطبعة التونسية (٣٠/ ٣٥١) بتصرف .
ويراجع : المفردات في غريب القرآن صـ : ٤٢٠ ، واللباب في علوم الكتاب ٢٠/ ٣٤٢ ، والدر المصون في علم الكتاب المكنون صـ : ٥٨١٤ .
(٣) سورة التين / ٤ ، ٥ .
(٤) التفسير المنير للزحيلي ٣٠/ ٣٠١ .

صورة ولا هيئة؛ لأن كلَّ صفةٍ اشترك فيها الخَلْقُ والحقُّ فالمبالغةُ للحقِّ ؛ كصفة العلم ، فالأعلمُ اللَّهُ ، وصفة القدرة : فالأقدَرُ اللَّهُ[1] .

المخاطِب : الله الخالق المصوِّر .

المخاطَب : جميع البشر .

موضوع الخطاب : بيان قدرة اله تعالى في الخلق والإعادة .

المراد بالإنسان :

يرى جمهور المفسرين أن المراد بالإنسان هنا : جميع الجنس البشرى والذى من خصائصه : الجمع بين الشهوة والعقل ، وقيل : يطلق الإنسان على منكري البعث ، وقيل في شخصٍ واحد هو : الوليد بن المغيرة وقيل : كلدة بن أسيد. وأرجح الرأي الأول ، وهو أن الإنسان يطلق هنا ويراد به جميع البشر ؛ وذلك لأن هذا يتناسب مع السياق العام للسورة ، وكذلك سياق الآية ، وهو أن الله – جلَّ جلاله – خلق الخلق جميعًا في "أعدل قامة وأحسن صورة ، وذلك أنه خلق كل شيء منكبّاً على وجهه إلاّ الإنسان[2]" .

قال القرطبي : " قوله تعالى : ﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ ﴾ .... ، وأراد بالإنسان : الكافر. قيل : هو الوليد بن المغيرة. وقيل : كلدة بن أسيد. فعلى هذا نزلت في منكري البعث. وقيل : المراد بالإنسان آدم وذريته. {فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ} وهو اعتداله واستواء شبابه ؛ كذا قال عامة المفسرين. وهو أحسن ما يكون ؛ لأنه خلق كل شيء منكبا على وجهه ، وخلقه هو مستويا ، وله لسان ذلق ، ويد وأصابع يقبض بها. وقال أبو بكر بن طاهر : مُزيناً بالعقل ، مُؤدياً للأمر ، مَهدياً بالتمييز ، مديد القامة ؛ يتناول مأكوله بيده[3]".

---

(١) تفسير القشيري (لطائف الإشارات) ، لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفي: ٤٦٥هـ) ت : إبراهيم البسيوني ٧٤٦/٣ بتصرف – الهيئة المصرية العامة للكتاب (مصر) .

(٢) الكشف والبيان ، للثعلبي ١٠/ ٢٤٠ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١١٣ ، ١١٤ .

ويراجع : اللباب في علوم الكتاب ٢٠/ ٤٠٨ ، وتفسير السراج المنير ٤/ ٤٠٨ .

﴿ أَحْسَن ﴾

نقيضُ أَساءَ ، وفعل مَا هُوَ حسن ، والإتقان والإجادة ، والتصدق ، ...[1].

وأما كلمة (تقويم) فتدل على : التعديل ، وحسن الهيئة والصورة ، وتزيين العقل والتمييز والبيان ، وإزالة الاعوجاج والعيوب ، وتسعير السلعة ، والتقدير ، وحساب الزمن بالسنين والشهور والأيام ، وتعيين مواقع البلدان وبيان ظواهرها ، وسجل يشمل ويبيّن أيّام السَّنة موزَّعة على شهورها مع ذكر أيّام العطلات والأعياد وأوقات الصَّلاة والملاحظات النجوميّة والفلكيّة ، وعمليّة تقويم أداء وسلوك الموظَّفين كُلٌّ على انفراد ؛ وذلك لتقدير احتياجات التّدريب أو للاحتفاظ بالموظّفين أو لتعديل المرتّبات ... [2] .

﴿ رَدَدْنَٰهُ ﴾

(رَدَدْنَاهُ) بمعنى: صرف الشي عن وجهه ورجعه ، والغلق ، والغضّ ، والرفض ، والصدّ ، والدفاع[3] .

والمراد من قوله تعالى ﴿ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ والذى يتناسب مع السياق : حسن الصورة وكمال العقل والشباب والقوة ، أو فطرته التي خلق عليها ؛ وهي كونه فطر على الإيمان .

وأرجح أن يراد بأحسن تقويم المعنيين السابقين معًا .

قال ابن الجزى : "﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ فيه قولان : أحدهما أن أحسن التقويم هو حسن الصورة وكمال العقل والشباب والقوة ، وأسفل سافلين الضعف والهرم والخوف فهو كقوله تعالى : ﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ﴾ [يس : ٦٨]

(١) ينظر : المعجم الوسيط (١/ ١٧٤ ، ومعجم اللغة العربية المعاصرة ١/ ٤٩٧(ح س ن) .

(٢) ينظر : شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ٨/ ٥٦٨١ ، ومعجم متن اللغة ٤/ ٦٨٤ ، المعجم الاشتقاقي المؤصل ٤/ ١٨٣٨ ، ومعجم اللغة العربية المعاصرة ٣/ ١٨٧٥ (ق و م).

(٣) ينظر : مقاييس اللغة ٢/ ٣٨٦ ، ولسان العرب ٣/ ١٧٢ ، ومعجم اللغة العربية المعاصرة (٢/ ٨٧٧ (ر د د) .

وقوله : ﴿ ثُم جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗ ﴾ [الروم : ٥٤] وقوله ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ بعد هذا غير متصل بما قبله ، والاستثناء على هذا القول منقطع بمعنى لكن ؛ لأنه خارج عن معنى الكلام الأول . والآخر أن حسن التقويم : الفطرة على الإيمان وأسفل سافلين الكفر أو تشويه الصورة في النار[1]".

الآية الثانية والعشرون

﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٞ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ ﴾[2] .

السياق العام للسورة :

سورة العاديات سورة مكية يُذَكِّرُ الله – عز وجل – فيها عباده فيها بيوم القيامة، وموقف الجزاء والحساب، حتى يكون الناس على أهبة الاستعداد لهذا اليوم العظيم ، ولا تشغلهم الدنيا عن الآخرة، والفانية عن الباقية و يقسم الله – عز وجل – في هذه السورة بخيل المعركة، ويصف حركتها واحدة واحدة ، منذ أن تبدأ عدوها وجريها ضابحة بأصواتها المعروفة حين تجري، قارعة للصخر بحوافرها حتى توري الشرر منها، مغيرة في الصباح الباكر لمفاجأة العدو، مثيرة للنقع والغبار، وهي تتوسط صفوف الأعداء على غرة، فتوقع بينهم الفوضى والاضطراب[3] .

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي صـ : ٢٦٢٧ .
ويراجع : الكشف والبيان ، للثعلبي ١٠/ ٢٤٠ ، وتفسير الخازن ٧/ ٢٦٦ ، وعمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ٣/ ٣٥٧ ، وتفسير السراج المنير ٤/ ٤٠٨ ، والتحرير والتنوير . الطبعة التونسية ٣٠/ ٤٢٣ ،٤٢٤ .

(٢) سورة : العاديات / ٦ ، ٧ ، ٨ .

(٣) تفسير القرآن العظيم – جزء عم ، لعبد الملك بن محمد بن قاسم العاصمي صـ : ١٤٥ بتصرف – دار القاسم للنشر، المملكة العربية السعودية – ط : ١ : ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م .

﴿ ضَبْحًا ﴾

"الضّبْح: صوت أنفاس الخيل إذا عَدَوْن[١]" . وقيل : سماع أصوات الخيل يخرج من أفواهها ، ليس بصهيلٍ ولا حمحمة [٢].

السياق العام للآية :

يذكر المراغي المعنى العام لهذه الآية فيقول : "إن الإنسان طبع على نكران الحق وجحوده ، وعدم الإقرار بما لزمه من شكر خالقه والخضوع له إلا من عصمهم الله وهم الذين روّضوا أنفسهم على فعل الفضائل، وترك الرذائل ، ما ظهر منها وما بطن. وإنه مع كنوده، ولجاجته في الطغيان، وتماديه في الإنكار والبهتان، إذا خلّى ونفسه رجع إلى الحق، وأذعن إلى أنه ما شكر ربه على نعمه، إلى أن أعماله كلها جحود لنعم الله، فهي شهادة منه على كنوده، شهادة بلسان الحال، وهي أفصح من لسان المقال. وإن الإنسان بسبب محبته للمال وشغفه به وتعلقه بجمعه وادخاره لبخيل شديد في بخله، حريص متناه في حرصه، ممسك مبالغ في إمساكه متشدد فيه[٣]".

سبب النزول :

ذكر أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي في كتابه "أسباب النزول" سبب نزول هذه السورة، فقال: "قال مقاتل: بعث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – سرية إلى حي من كنانة واستعمل عليهم المنذر بن عمرو الأنصاري فتأخر خبرهم ، فقال المنافقون: قتلوا جميعاً ، فأخبر الله تعالى عنها ؛ فأنزل (وَالعادِياتِ ضَبحاً) يعني تلك الخيل[٤]".

المخاطِب : الله جلَّ جلاله .

المخاطَب : قيل : كل الناس ، وقيل : الكفار ، وقيل شخص معيّن .

موضوع الخطاب : بيان الصفات السلبية التي طُبِعَ عليها الإنسان .

---

(١) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ٦/ ٣٩٠٩ .
(٢) ينظر : العين ٣/ ١١٠١٠٩ (ض ب ح) .
(٣) تفسير المراغي ٣٠/ ٢٢٣ ، ٢٢٤ .
(٤) أسباب النزول ، للواحدي صـ : ٣٤٥ .

المراد بالإنسان: اختلف المفسرون في المراد بالإنسان هنا : فقيل : " الكافر. قال الضحاك: نزلت في الوليد بن المغيرة، وقال مقاتل: نزلت في قرط بن عبد الله بن عمرو بن نوفل القرشي[١]".

وقيل : يراد بالإنسان جميع الناس ؛ فالناس مطبوعون على تلك الصفات إلا في حالة أن يعصم الله المؤمنين من ذلك بلطفه وتوفيقه .

قال الرازي : "معنى الكنود لا يخرج عن أن يكون كفراً أو فسقاً ، وكيفما كان فلا يمكن حمله على كل الناس ، فلا بد من صرفه إلى كافر معين ، أو إن حملناه على الكل كان المعنى أن طبع الإنسان يحمله على ذلك إلا إذا عصمه الله بلطفه وتوفيقيه من ذلك ، والأول قول الأكثرين قالوا : لأن ابن عباس قال : إنها نزلت في قرط بن عبد الله بن عمرو بن نوفل القرشي ، وأيضاً فقوله : ﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴾[٢] لا يليق إلا بالكافر ، لأن ذلك كالدلالة على أنه منكر لذلك الأمر[٣]".

﴿ لَكَنُود ﴾

كَنُودٌ : تدل على معانٍ كثيرة ، وهذه المعاني موجودة في المعاجم العربية ، ومن تلك المعاني : الْجُحُود ، وهُوَ الَّذِي يَأْكُل وَحده وَيمْنَع رفده وَيضْرب عَبده ، والكفور ، أو كفر النِّعْمَة ، والأرض لَا تنْبت شَيْئا ، وعلم على اسم[٤] .

والمعنى المراد لكلمة (كَنُود) في هذه الآية القرآنية والذي حدده سياقها الحالي أو المقامي ؛ ذكره الثعلبي في قوله : "قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والربيع : لكفور جحود لنِعم الله تعالى . قال الكلبي : هو بلسان كندة وحضرموت ، وبلسان معد كلهم : العاصي ، وبلسان مضر وربيعة وقضاعة : الكفور ، وبلسان بني مالك البخيل .

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ٤/ ٤٨١ .

(٢) سورة : العاديات / ٩ .

(٣) تفسير الفخر الرازي ٢٦٢/٣٢ .

(٤) ينظر : المحكم والمحيط الأعظم ٦/ ٧٥٧ ، المخصص ٣/ ٤٢٥ ، ولسان العرب ٣/ ٣٨١ ، وتاج العروس ٩/ ١١٥ ، وشمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ٩/ ٥٩٠٩ (ك ن د) .

وروى شعبة عن سماك أنه قال : إنما سميت كندة ؛ لأنها قطعت أباها . وقال ابن سيرين : هو اللوّام لربه . وقال الحسن : هو الذي يعدّ المصائب وينسى النعم[١]" .

"وقال بعض الصوفية : الكنود هو الذي يعبد الله على عوض[٢]".

ويستخلص من هذا كله أن أنسب المعاني لكلمة (لكنود) والتي تتناسب مع السياق: الكفر، والكفر قد يكون كفر للنعمة ، وقد يكون كفر للملة أو كفر للاثنين معًا.

﴿ لَشَدِيد ﴾

صفة مشبَّهة تدلّ على الثبوت من شدَّ ، ومن معانيها : الشُّجاعُ ، والبَخِيلُ ، والقوى ، وشَدِيدُ بنُ قَيْس ، والأَسَدُ ، وشُدَيْدُ بنُ شَدَّاد بن عامر ، والصعب ، والعسير ، والجاف ، واسم من أسماء الله الحسنى[٣] .

وقد اخْتُلِفَ في المعنى المراد من كلمة (لشديد) على وجهين :

"أحدهما : لشديد الحب للخير ، وشدة الحب قوته وتزايده .

الثاني : لشحيح بالمال يمنع حق الله منه ، قاله الحسن ، من قولهم فلان شديد أي شحيح[٤]" .

والمعنى الأول أقرب إلى الصواب ، وذلك لأن سياق الحال يدور حول شدة حب الإنسان للخير وقوة حرصه عليه ، وخاصة المال .

قال ابن جزي : "والمعنى أن الإنسان شديد الحب للمال ، فهو ذم لحبه والحرص عليه ، وقيل : الشديد : البخيل الممسك ، والمعنى على هذا أنه بخيل من أجل حب المال، والأول أظهر[٥]".

---

(١) الكشف والبيان ، للثعلبي ١٠/ ٢٧١ .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي صـ : ٢٦٤٠ .
ويراجع : تفسير الماتريدي ١٠/ ٦٠٢ ، والكشاف ، للزمخشري ٤/ ٧٩٥ ، وتفسير البحر المحيط ٨/ ٥٠٠ ، وعمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ٣/ ٤٣٢ ، والبحر المديد ٨/ ٥١٧ .

(٣) ينظر : مقاييس اللغة ٣/ ١٧٩ ، ١٨٠ ، والتكملة والذيل والصلة ، للصغاني (٢/ ٢٦٠ ، ومعجم اللغة العربية المعاصرة ٢/ ١١٧٧ (ش د د) .

(٤) تفسير الماوردي ٦/ ٣٢٦ .

(٥) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي صـ : ٢٦٤٠ . =

﴿ لَشَهِيد ﴾

من أَسماء الله – عز وجل – ، والشَّاهِد، والأمين فِي شَهَادَته، وَالَّذِي لَا يغيب عَن علمه شَيْء، والقتيل فِي سَبِيل الله ، والحاضر(١) .

وفي المراد من قوله تعالى : ﴿ لَشَهِيد ﴾ رأيان ، ذكرهما الرازي في قوله : "أحدهما : أن الإنسان على ذلك ؛ أي على كنوده لشهيد يشهد على نفسه بذلك ، إما لأنه أمر ظاهر لا يمكنه أن يجحده ، أو لأنه يشهد على نفسه بذلك في الآخرة ويعترف بذنوبه . القول الثاني : المراد وإن الله على ذلك لشهيد ، قالوا : وهذا أولى لأن للضمير عائد إلى أقرب المذكورات والأقرب ههنا هو لفظ الرب تعالى ويكون ذلك كالوعيد والزجر له عين المعاصي من حيث إنه يحصى عليه أعماله ، وأما الناصرون للقول الأول فقالوا : إن قوله بعد ذلك : ﴿ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ الضمير فيه عائد إلى الإنسان ، فيجب أن يكون الضمير في الآية التي قبله عائداً إلى الإنسان ليكون النظم أحسن(٢)".

فالقول الثاني هو الأولى بالقبول والأقرب إلى الصواب ؛ وذلك لوجود القرينة اللغوية الدالة عليه ، وهو عود الضمير على أقرب المذكورات والأقرب ههنا هو لفظ الرب جلَّ وعلا .

=ويراجع : الكشاف ، للزمخشري ٤/ ٧٩٥ ، و زاد المسير في علم التفسير ٤/ ٤٨١ ، ٤٨٢، وتفسير ابن كثير ٨/ ٤٦٧ ، واللباب في علوم الكتاب ٢٠/ ٤٦٣ .

(١) ينظر : الكليات صـ : ٥٢٧ ، ٥٢٨ ، ولسان العرب ٢٣٨/٣ ، والمعجم الاشتقاقي المؤصل ٢/ ١١٧٨ ، ١١٧٩ (ش هـ د) .

(٢) تفسير الفخر الرازي ٢٦٢/٣٢ . ويراجع : تفسير الماوردي ٦/ ٣٢٦ .

الخاتمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وبعونه يصل المرء إلى أسمى الغايات، وبفضله يتعلم الإنسان ما لا يعلم ، والصلاة والسلام على نبي الأمم، سيدنا محمد الأجل الأكرم، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى اليوم الأعظم.

وبعد،،،،

فبتوفيقٍ من الله – عز وجل – قد انتهيت من كتابة هذا البحث العلمي ، وبعد هذه الرحلة القصيرة في دراسة وتحليل السياق اللغوي للفظ (الإنسان) المعرف بـ (أل) وصفاته في القرآن الكريم ؛ فقد توصلت إلى مجموعة من النتائج، منها:

١ – ارتباط السياق بالقرآن ارتباطًا وثيقًا ؛ إذ السياق في المجال القرآني هو في الحقيقة تفسير للقرآن بالقرآن ؛ وذلك من خلال تفسير الكلمة بما جاورها من الكلمات ، السوابق منها أو اللواحق ، وكذلك الآيات يتم تفسيرها من خلال الآيات السابقة أو التالية لها .

٢ – للسياق دور كبير في اختيار الألفاظ والصيغ ؛ فكل لفظة أو صيغة في القرآن موضوعة في مكانها الدقيق الصحيح ، ولو وضع غيرها مكانها فسيؤدى حتمًا إلى تغير المعنى . قال د. صالح عبد الفتاح الخالدي :" لو جاء التعبير القرآني بمعرفة من نوع معيّن وبلفظٍ خاص ، وخطر بالذهن تغييره بمعرفة أخرى ، وبلفظٍ مغاير ؛ لحصل تبديل في المعنى ، وانحرافٌ في النظم ، وتبدّلٌ للغرض المقصود ، وضياعٌ للهدف المنشود[1]".

٣ – للسياق دور كبير في تخصيص العام ، وتقييد المطلق ، وتبيين المجمل ، وإيضاح الغامض .

٤ – النص القرآني غنى وثريٌّ بالمدلولات ، وقد أدّى هذا إلى تزاحم المعاني على الألفاظ مما ترتب عليه اختلاف المفسرين في بيان المراد من الألفاظ والعبارات والتراكيب اللغوية .

٥ – السياق القرآني يختلف عن أي سياق آخر ؛ وذلك لأنه مكون من أنواع وجوانب مختلفة عن السياقات غير القرآنية ؛ فهو مكون من :

(١) إعجاز القرآن البياني ، د. صالح عبد الفتاح الخالدي صـ ٢٣٠ دار عمّار (عمان) ط ١ / ١٤٢١هـ /٢٠٠٠م .

أ- السياق القرآني على وجه العموم . ب – سياق السورة .

جـ – سياق المقطع أو النص . د – سياق الآية .

هـ – سبب النزول .

وهذه الأنواع تتكامل وتتآلف فلا يوجد بينها تعارض أو تنافر بل تكوّن وحدة واحدة ينتج عنها معاني متعددة ، وأغراض متنوعة .

٦ – يمكن تقسيم الآيات المذكور فيها لفظ (الإنسان) الموصوف بصفات معينة من حيث المراد به إلى ثلاثة أقسام، وهي كالآتي:

القسم الأول : العموم: فيراد بالإنسان كل البشر : المسلم والكافر ، الطائع والعاصي . والآيات هي :

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ﴾ .

﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴾ .

﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ﴾ .

﴿ خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖۚ سَأُوْرِيكُمۡ ءَايَٰتِي فَلَا تَسۡتَعۡجِلُونِ ﴾ .

﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ﴾ .

﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ۝٤ ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ﴾ .

وهذه الآيات واضحة أنها في حق الإنسان عموماً المؤمن والكافر.

القسم الثاني : المختلف فيه ما بين المسلم والكافر ، أو إرادة الاثنين معًا ، والآيات هي:

﴿ وَيَدۡعُ ٱلۡإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلۡخَيۡرِۖ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولٗا ﴾ .

وقد اختلف في المراد به ؛ فقيل : الكافر ، وقيل : المؤمن ، والصواب : أنها في حق الكافر آكد ؛ وذلك لأنه يستعجل العذاب.

﴿ قُل لَّوۡ أَنتُمۡ تَمۡلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحۡمَةِ رَبِّيٓ إِذٗا لَّأَمۡسَكۡتُمۡ خَشۡيَةَ ٱلۡإِنفَاقِۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ قَتُورٗا ﴾ .

وقد اختلف في المراد به ؛ فقيل : الكافر ، وقيل : المؤمن ، والصواب : أنها في حق الكافر آكد ؛ لأن الأصل في المؤمن ألا يكون قتورا ؛ أي : بخيلا ، لكن يتوقع أن يحصل منه ذلك .

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً ﴾ .

والإنسان هنا يجوز أن يراد المسلم أو الكافر ، لكن الأقرب أنه الكافر ؛ فالأصل في المؤمن ألا يحدث منه ذلك ، ومع ذلك فإنه قد يأتي به فيجادل .

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾ .

والإنسان هنا يجوز أن يراد المسلم أو الكافر ، لكن الأقرب أنه الكافر ؛ بدليل القرينة اللغوية المذكورة ، وهي تذييل كان تذييل الآية بـ " ظَلُومًا جَهُولًا " ، وهما صفتان يتسم بهما الكافر غالبًا.

﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾.

لفظ (الإنسان) في هذه الآية يجوز أن يراد المسلم أو الكافر ، لكن الأقرب أنه الكافر ، لكن سياق الآيات يرجح أنه الكافر .

﴿ وَإِنَّا أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَـٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴾ .

(الإنسان) هنا يصلح في حق المؤمن والكافر ، لكن السياق اللغوي ، وهو التصريح بصفة (كفور) ، وكذلك السياق الحالي يرجح أن المراد به : الكافر .

القسم الثالث : الإنسان الكافر ، والآيات هي :

﴿ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَـٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ۝ وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴾ .

﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ .

﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا﴾.

﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴾ .

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ﴾.

﴿ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴾ .

﴿ وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴾ .

﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾ .

﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ .

وجميع هذه الآيات السابقة واضحة أنها في حق الإنسان الكافر ، مع أن بعض العلماء من رأي غير ذلك ، على نحو ما وضحته في هذا البحث .

وبعد،،،،

فقد انتهيت من كتابة هذا الموضوع المهم الذى ينبغي أن تتوجه إليه الجهود ويحظى بالعناية والاهتمام ، وهذا هو جهد المقل وبضاعته المزجاة، قصدت به وجه الإله، سائلا مولاي وخالقي أن يسدد قصدي، وأن ينفعني به ومن بعدي، والباب مفتوح والصدر مشروح، لمن أراد أن يصحح خطأً، أو يقدّم خيرًا ، وأفضلهم عندي من أهدى إلي عيوبي .

د/ جمعة عبد الحميد محمد ندا

كشّاف بالآيات القرآنية محل الدراسة[1]

م	الآية	رقم الصفحة
١	يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا	٩٧١
٢	وَلَئِنۡ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ ثُمَّ نَزَعۡنَٰهَا مِنۡهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٞ كَفُورٞ ۝٩ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ نَعۡمَآءَ بَعۡدَ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٞ فَخُورٌ	٩٧٨
٣	وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ	٩٨٥
٤	وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ	٩٨٩
٥	خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ	٩٩٤
٦	وَيَدۡعُ ٱلۡإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلۡخَيۡرِۖ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولٗا	٩٩٩
٧	وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ	١٠٠٢

(١) الآيات القرآنية مرتبة حسب ورودها في البحث ، وليس بالترتيب الوارد في المصحف الشريف .

	إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا	
٨	وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا	١٠٠٤
٩	قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا	١٠٠٨
١٠	وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا	١٠١٠
١١	خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ	١٠١٣
١٢	وَهُوَ ٱلَّذِى أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ	١٠١٥
١٣	وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ	١٠١٨
١٤	إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا	١٠٢٠

١٥	أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ	١٠٢٦
١٦	لَّا يَسۡـَٔمُ ٱلۡإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلۡخَيۡرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٞ قَنُوطٞ	١٠٢٩
١٧	وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٖ	١٠٣١
١٨	وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ فَرِحَ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ فَإِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ كَفُورٞ	١٠٣٤
١٩	إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا	١٠٣٦
٢٠	لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ	١٠٤٠
٢١	لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ	١٠٤٣
٢٢	إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٞ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ	١٠٤٦

كشّاف الكلمات محل الدراسة

م	الكلمة	رقم الصفحة	م	الكلمة	رقم الصفحة
١	أَحْسَن	١٠٤٥	٢٢	عَرَضْنَا	١٠٢٢
٢	أَشْفَقَ	١٠٢٤	٢٣	الْعَرِيضُ	١٠٣٣
٣	أَعْرَضَ	١٠٠٥	٢٤	فَخُور	٩٨٤
٤	الْأَمَانَة	١٠٢٢	٢٥	**فَرِحٌ**	٩٨٣
٥	(الإنسان) اشتقاقه ، ومعناه	٩٧٢	٢٦	**قتورا**	١٠٠٩
٦	تقويم	١٠٤٥	٢٧	قَنُوطٌ	١٠٣١
٧	جَدَلًا	١٠١٢	٢٨	كَبَد	١٠٤٢
٨	جَزُوعًا	١٠٣٩	٢٩	كفّار	٩٨٨
٩	جَهُول	١٠٢٥	٣٠	كفور	٩٨١
١٠	الحَمَأ	٩٩١	٣١	لَشَدِيد	١٠٤٩
١١	الْحَيَاة	١٠١٥	٣٢	لَشَهِيد	١٠٥٠
١٢	خَصِيمٌ	٩٩٧	٣٣	لَكَنُود	١٠٤٨
١٣	رَحْمَة	١٠٣٥	٣٤	لَيَئُوسٌ	٩٨١
١٤	رَدَدْنَاهُ	١٠٤٥	٣٥	مُبِين	٩٩٧
١٥	الشَّرُّ	١٠٠٦	٣٦	المسنون	٩٩٢
١٦	الصَّلْصَال	٩٩٠	٣٧	مَنُوعًا	١٠٣٩
١٧	ضَبْحًا	١٠٤٧	٣٨	نَأَى	١٠٠٥
١٨	ضَعِيفا	٩٧٥	٣٩	النَّطْفَة	٩٩٦
١٩	ظَلُوم	٩٨٧	٤٠	هَلُوعًا	١٠٣٧
٢٠	عَجَل	١٠١٤	٤١	يَئُوسٌ	١٠٠٧
٢١	عَجُولًا	١٠٠٠	٤٢	يَسْأَمُ	١٠٣٠

كشاف المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .
- أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم .

١ – الإبانة في اللغة العربية ، لسَلَمة بن مُسْلِم العَوْتبي الصُحاري – وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عمان الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م .

٢ – الإتقان في علوم القرآن ، للسيوطي – ت : محمد أبو الفضل إبراهيم – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م .

٣ – أثر السياق في تأويل آيات الجهاد ، لمراد عبادة – جامعة الشيخ العربي التبسي / كلية الآداب واللغات الأجنبية / قسم اللغة والأدب العربي .

٤ – الأساس في التفسير ، لسعيد حوّى (المتوفي ١٤٠٩ هـ) دار السلام (القاهرة) ط : ١٤٢٤هـ .

٥ – أسباب نزول القرآن ، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي (المتوفي: ٤٦٨هـ) ت : عصام بن عبد المحسن الحميدان – دار الإصلاح (الدمام) ط : ٢ : ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م .

٦ – أصول الفقه ، للسرخسي – ت : أب .و الوفا الأفغاني – دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٧٣ .

٧ – الأضداد لابن الأنباري (المتوفي: ٣٢٨هـ) المكتبة العصرية (بيروت) ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م .

٨ – أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، لمحمد الأمين الشنقيطي (المتوفي : ١٣٩٣هـ) دار الفكر (بيروت) ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م .

٩ – الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق ، لعائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ (المتوفي: ١٤١٩هـ) – دار المعارف – ط : ٣ .

١٠ – إعجاز القرآن البياني ، د. صالح عبد الفتاح الخالدي – دار عمّار (عمان) ط ١ / ١٤٢١هـ /٢٠٠٠م .

١١– الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين ، لأبي البركات الأنباري (المتوفى: ٥٧٧هـ) المكتبة العصرية – ط : ١ : ١٤٢٤هـ– ٢٠٠٣م .

١٢ – أنواع السياق في القرآن الكريم د. أمال السيد محمد الأمين – بحث في مجلة جامعة الناصر ، العدد السابع ، يناير ٢٠١٦م (صنعاء) .

١٣ – أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، لابن هشام المصري (ت ٧٦١هـ) تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
١٤ – أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ، لجابر بن موسى الجزائري – مكتبة العلوم والحكم (المدينة المنورة) ط : ٥ : ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م .
١٥ – البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ، لأبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة (المتوفي: ١٢٢٤هـ) ت : أحمد عبد الله القرشي رسلان – الناشر: الدكتور حسن عباس زكي (القاهرة) .
١٦– البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها ، لعبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفي: ١٤٢٥هـ) دار القلم ، دمشق – ط : ١ : ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م .
١٧– تاج العروس ، لمرتضى الزبيدي (المتوفي: ١٢٠٥هـ) دار الهداية
١٨– تاج اللغة وصحاح العربية ، للجوهري (المتوفي: ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار – دار العلم للملايين – بيروت الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ– ١٩٨٧ م .
١٩– تأويل مشكل القرآن، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (المتوفي: ٢٧٦هـ) ت : إبراهيم شمس الدين – دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٠– التحرير والتنوير ، للطاهر بن عاشور التونسي (المتوفي : ١٣٩٣هـ) الدار التونسية للنشر – ١٩٨٤م .
٢١– تذكرة الأريب تفسير الغريب ، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفي: ٥٩٧هـ) ت : طارق فتحي السيد – دار الكتب العلمية (بيروت) ط: ١ : ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م .
٢٢– التسهيل لعلوم التنزيل ، لابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفي: ٧٤١هـ) ت : د/ عبد الله الخالدي – شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم (بيروت) ط : ١ : ١٤١٦هـ .
٢٣– التعريفات الفقهية ، لمحمد عميم الإحسان البركتي – دار الكتب العلمية – ط : ١ : ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م .
٢٤– تفسير ابن أبي زمنين المالكي (المتوفي: ٣٩٩هـ) ت : أبو عبد الله حسين بن عكاشة – محمد بن مصطفي الكنز – الفاروق الحديثة (القاهرة) ط : ١ : ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م .
٢٥– تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) ، لأبي السعود العمادي (المتوفي: ٩٨٢هـ) دار إحياء التراث العربي (بيروت) .
٢٦– التفسير البسيط ، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي (المتوفي: ٤٦٨هـ) ١٣/ ٣٩٧ – عمادة البحث العلمي (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية) ط : ١ : ١٤٣٠هـ .

٢٧- تفسير البغوي (معالم التنزيل في تفسير القرآن) ، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفي: ٥١٠هـ) دار طيبة للنشر والتوزيع – ط : ٤ : ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م ، وتفسير الخازن ٤/ ٧٩.

٢٨- تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) ، لأبي سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي (المتوفي: ٦٨٥هـ) ت : محمد عبد الرحمن المرعشلي – دار إحياء التراث العربي (بيروت) ط : ١٤١٨هـ .

٢٩- تفسير الثعالبي (الجواهر الحسان في تفسير القرآن) ، لأبي زيد عبد الرحمن الثعالبي (المتوفي: ٨٧٥هـ) ت : محمد علي معوض – دار إحياء التراث العربي (بيروت) ط : ١ : ١٤١٨هـ .

٣٠- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ، لمحمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري ٦٦/١٨ – دار طوق النجاة (بيروت) ط : ١ : ١٤٢١هـ – ٢٠٠١ م .

٣١- التفسير الحديث ، لدروزة محمد عزت – دار إحياء الكتب العربية (القاهرة) ١٣٨٣هـ .

٣٢- تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل ، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي – دار الفكر (بيروت) ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

٣٣- تفسير الراغب الأصفهاني (المتوفي: ٥٠٢هـ) ت : د. محمد عبد العزيز بسيوني – كلية الآداب ، جامعة طنطا – ط : ١ : ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م ، وتاج العروس ٣٧/.٥٠٧

٣٤- تفسير روح البيان ، لإسماعيل حقي بن مصطفي الإسطنبولي – دار إحياء التراث العربي ، ومختصر تفسير ابن كثير ١/ ٥٨٦ .

٣٥- تفسير السراج المنير ، لمحمد بن أحمد الشربيني – دار الكتب العلمية (بيروت) .

٣٦- تفسير السعدي ، لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفي: ١٣٧٦هـ) ت : عبد الرحمن بن معلا اللويحق – مؤسسة الرسالة – ط : ١ : ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠م .

٣٧- تفسير السمرقندي ، لأبي الليث نصر بن محمد السمرقندي – ت : د. محمود مطرجي – دار الفكر (بيروت) .

٣٨- تفسير السمعاني ، لأبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني (المتوفي سنة ٤٨٩هـ) ت : ياسر بن إبراهيم – دار الوطن (الرياض) ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م .

٣٩- تفسير الشعراوي ، للشيخ / محمد متولي الشعراوي (المتوفي: ١٤١٨هـ) مطابع أخبار اليوم .

٤٠- تفسير العز بن عبد السلام ، لعز الدين عبد العزيز بن عبد السلام (المتوفي سنة٦٦٠هـ) ت : عبد الله بن إبراهيم الوهبي – دار ابن حزم (بيروت) ط : ١ : ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م .

٤١- تفسير الفخر الرازي (مفاتيح الغيب) ، لفخر الدين الرازي (المتوفي: ٦٠٦هـ) دار إحياء التراث العربي (بيروت) ط : ٣ : ١٤٢٠هـ .

٤٢- تفسير القرآن العظيم – جزء عم ، لعبد الملك بن محمد بن قاسم العاصمي – بتصرف – دار القاسم للنشر، المملكة العربية السعودية – ط : ١ : ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م .

٤٣- التفسير القرآني للقرآن ، لعبد الكريم يونس الخطيب (المتوفي: بعد ١٣٩٠هـ) بتصرف دار الفكر العربي (القاهرة) .

٤٤- تفسير القشيري (لطائف الإشارات) ، لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفي: ٤٦٥هـ) ت : إبراهيم البسيوني – بتصرف – الهيئة المصرية العامة للكتاب (مصر) .

٤٥- التفسير اللغوي للقرآن الكريم ، د / مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار – بتصرف – دار ابن الجوزي – ط : ١ : ١٤٣٢هـ .

٤٦- تفسير الماتريدي ، لأبي منصور الماتريدي (المتوفي: ٣٣٣هـ) ت : د. مجدي باسلوم – دار الكتب العلمية (بيروت) ط : ١ : ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م .

٤٧- تفسير المراغي ، لأحمد بن مصطفي المراغي (المتوفي: ١٣٧١هـ) مطبعة مصطفي البابي الحلبي – ط : ١ : ١٣٦٥هـ – ١٩٤٦م .

٤٨- تفسير مقاتل بن سليمان – دار الكتب العلمية (بيروت) ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م .

٤٩- التفسير المنير ، د / وهبة بن مصطفي الزحيلي – دار الفكر المعاصر – دمشق) ط : ١ : ١٤١٨هـ .

٥٠- تفسير النيسابوري (غرائب القرآن ورغائب الفرقان) ، لنظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري (المتوفي: ٨٥٠هـ) ت : الشيخ زكريا عميرات – دار الكتب العلمية (بيروت) ط : ١٤١٦هـ .

٥١- التفسير الواضح ، لمحمد محمود الحجازي – دار الجيل الجديد (بيروت) ط : ١٠ : ١٤١٣هـ .

٥٢- تكملة المعاجم العربية ، لرينهارت بيتر آن دُوزِي (المتوفي: ١٣٠٠هـ) وزارة الثقافة والإعلام (العراق) ط : ١ : من ١٩٧٩ – ٢٠٠٠م .

٥٣- التكملة والذيل والصلة ، للحسن بن محمد بن الحسن الصغاني (المتوفي: ٦٥٠ هـ) مطبعة دار الكتب (القاهرة) .

٥٤- تهذيب اللغة، للأزهري (المتوفي: ٣٧٠هـ) دار إحياء التراث العربي (بيروت) الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

٥٥- جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري) ، لأبي جعفر الطبري (المتوفي سنة ٣١٠هـ) ت : أحمد محمد شاكر – مؤسسة الرسالة – ط: ١ : ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م .
٥٦- الجامع لأحكام القرآن ، لشمس الدين القرطبي (المتوفي : ٦٧١ هـ) ت : هشام سمير البخاري – دار عالم الكتب (الرياض) ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م .
٥٧- جامع العلوم في اصطلاحات الفنون (دستور العلماء) للقاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (المتوفي: ق ١٢هـ) دار الكتب العلمية (بيروت) ط: ١ : ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.
٥٨- جمهرة اللغة ، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفي: ٣٢١هـ) تحقيق : رمزي منير بعلبكي – دار العلم للملايين (بيروت) الطبعة : الأولى ١٩٨٧م .
٥٩- الدر المصون في علم الكتاب المكنون ، للسمين الحلبي (المتوفي: ٧٥٦هـ) ت : أحمد محمد الخراط – دار القلم (دمشق) .
٦٠- دلالة السياق في فهم النص سورة يوسف أنموذجًا، لعبد الفتاح خمار – جامعة الشيخ العربي التبسى / كلية الآداب واللغات الأجنبية / قسم اللغة والأدب العربي ٢٠١٤/٢٠١٥م .
٦١- دلالة السياق ، لردة الله بن ردة – مكتبة الملك فهد الوطنية ،مكة المكرمة ، المملكة العربية السعودية، ط ١ ١٤٢٣هـ .
٦٢- دلالة السياق ، للحضرمي أحمد الطلبة – مركز سلف للبحوث والدراسات .
٦٣- الدلالة السياقية في سورة الإسراء ، لسمير داود سلمان – جامعة البصرة ، كلية الآداب .
٦٤- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، لمحمود الألوسي أبو الفضل – دار إحياء التراث العربي (بيروت) .
٦٥- زاد المسير في علم التفسير ، لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي – المكتب الإسلامي (بيروت) ط : ٣ : ١٤٠٤هـ .
٦٦- زهرة التفاسير ، محمد بن أحمد بن مصطفي بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفي: ١٣٩٤هـ) دار الفكر العربي .
٦٧- سنن ابن ماجه ، لمحمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني ، ت : محمد فؤاد عبد الباقي – دار الفكر (بيروت) .
٦٨- السياق أنماطه وتطبيقاته في التعبير القرآني م. د. خليل خلف بشير العامري – مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية – جامعة البصرة– كلية الآداب .
٦٩- السِّيَاقِ فِي الدِّرَاسَاتِ البَلاغِيّةِ وَالأُصُولِيَّةِ ، أُسَامَة عَبْد العَزِيزِ جَابَ الله صـ كلية الآداب – جامعة كفر الشيخ .

٧٠- السياق وأثره في المعنى د. المهدى إبراهيم الغويل – أكاديمية الفكر الجماهيري ، بنغازي (ليبيا) ٢٠١٠م ، ونظرية اللغة والجمال في النقد العربي د.تامر سلوم صـ ٣١٢ دار الحوار ، اللاذقية (سوريا) ط ١ ١٩٨٣م .

٧١- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، لنشوان بن سعيد الحميري اليمني (المتوفي: ٥٧٣هـ) دار الفكر المعاصر (بيروت) ط : ١ : ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .

٧٢- صحيح البخاري ، ت : محمد زهير بن ناصر الناصر – دار طوق النجاة ، ط : ١ ، ١٤٢٢هـ .

٧٣- صحيح مسلم ، ت : محمد فؤاد عبد الباقي – دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٧٤- العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير ، لمحمد الأمين بن محمد الشنقيطي (المتوفي: ١٣٩٣هـ) ت : خالد بن عثمان السبت – دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع (مكة المكرمة) ط : ٢ : ١٤٢٦هـ .

٧٥- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ، للسمين الحلبي (المتوفي: ٧٥٦ هـ) ت : محمد باسل عيون السود – دار الكتب العلمية (بيروت) ط : ١ : ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .

٧٦- العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي (المتوفي: ١٧٠هـ) تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي – دار ومكتبة الهلال.

٧٧- غاية المريد في علم التجويد ، للشيخ / عطية ابل نصر– دار التقوى – شبرا الخيمة – ط : ٧ – ١٤٢٠ هـ .

٧٨- غرائب التفسير وعجائب التأويل ، لأبي القاسم برهان الدين الكرماني (المتوفي: نحو ٥٠٥هـ) دار القبلة للثقافة الإسلامية (جدة) .

٧٩- الغريبين في القرآن والحديث أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي (المتوفي ٤٠١ هـ) ت : أحمد فريد المزيدي – مكتبة نزار مصطفي الباز (المملكة العربية السعودية) ط : ١ : ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م .

٨٠- فتح البيان في مقاصد القرآن ، لأبي الطيب محمد صديق خان الحسيني القِنَّوجي (المتوفي: ١٣٠٧هـ) المكتبة العصريَّة للطبَاعة والنَشْر، (صَيدَا) ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .

٨١- فتح القدير ، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني (المتوفي: ١٢٥٠هـ) دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت – ط : ١ : ١٤١٤هـ .

٨٢- الفروق اللغوية ، لأبي هلال العسكري (المتوفي: نحو ٣٩٥هـ) دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة .

٨٣- في إشراقة آية ، لعبد الكريم بكار – دار وجوه للنشر والتوزيع (الرياض) ط٢ ١٤٣١هـ.

٨٤- في ظلال القرآن ، للسيد قطب - دار الشروق (القاهرة) ط : ١ : ١٩٧٢م .
٨٥- القاموس المحيط ، للفيروز أبادى (المتوفي: ٨١٧هـ) - مؤسسة الرسالة (بيروت) الطبعة : الثامنة ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م .
٨٩- قواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير ، لعبير بنت عبد الله النعيم - دار التدمرية (الرياض) ط : ١ : ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م .
٩٠- الكشف والبيان ، للثعلبي - دار إحياء التراث العربي (بيروت) ط : ١ : ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م .
٩١- الكليات ، لأبي البقاء الكفوي (المتوفي: ١٠٩٤هـ) ت : عدنان درويش ، ومحمد المصري - مؤسسة الرسالة (بيروت) .
٩٢- لسان العرب، لابن منظور (المتوفي: ٧١١هـ) دار صادر (بيروت) الطبعة: الثالثة: ١٤١٤ هـ .
٩٣- اللباب في علوم الكتاب ، لابن بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفي: ٧٧٥هـ) ت : عادل أحمد عبد الموجود ، وعلي محمد معوض - دار الكتب العلمية (بيروت) ط : ١ : ١٤١٩هـ -١٩٩٨م.
٩٤- مباحث في علوم القرآن لمناع ، لمناع بن خليل القطان (المتوفي: ١٤٢٠هـ) مكتبة المعارف - ط : ٣ : ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م .
٩٥- مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار ، لمحمد طاهر بن علي الصديقي (المتوفي: ٩٨٦هـ) ت : مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - ط: ٣ : ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م .
٩٦- المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث ، لمحمد بن عمر بن أحمد الأصبهاني (المتوفي: ٥٨١هـ) ت : عبد الكريم العزباوي - دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع (جدة) ط : ١ .
٩٧- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، لابن عطية الأندلسي - ت : عبد السلام عبد الشافي محمد - دار الكتب العلمية (بيروت) ط : ١ : ١٤١٣هـ.١٩٩٣م .
٩٨- المحكم والمحيط الأعظم ، لأبي الحسن بن سيده (المتوفي : ٤٥٨هـ) تحقيق : عبد الحميد هنداوي - دار الكتب العلمية (بيروت) ط : ١ : ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م .
٩٩- مختار الصحاح ، لأبي بكر بن عبد القادر الرازي (المتوفي: ٦٦٦هـ) المكتبة العصرية - الدار النموذجية (بيروت) ط : ٥ ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .
١٠٠- مختصر تفسير البغوي المسمى بمعالم التنزيل ، لعبد الله بن أحمد بن علي الزيد - دار السلام (الرياض) ط : ١ : ١٤١٦هـ .

١٠١- مختصر تفسير ابن كثير ، لمحمد علي الصابوني – دار القرآن الكريم (بيروت) ط : ٧ : ١٤٠٢هـ – ١٩٨١م .

١٠٢- المختصر في تفسير القرآن الكريم ، لجماعة من علماء التفسير – مركز تفسير للدراسات القرآنية – ط : ٣ : ١٤٣٦ هـ.

١٠٣- المخصص ، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده (المتوفي: ٤٥٨هـ) ت : خليل إبراهيم جفال – دار إحياء التراث العربي (بيروت) ط : ١ : ١٤١٧هـ ١٩٩٦م .

١٠٤- مسند الإمام أحمد بن حنبل – ت : شعيب الأرناؤوط وآخرون ، مؤسسة الرسالة – ط : ٢ ، ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م

١٠٥- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، لأحمد بن محمد بن علي الفيومي (المتوفي: نحو ٧٧٠هـ) المكتبة العلمية (بيروت) .

١٠٦- معاني القرآن ، للأخفش الأوسط (المتوفي: ٢١٥هـ) ت : د / هدى محمود قراعة – مكتبة الخانجي (القاهرة) ط : ١ : ١٤١١هـ – ١٩٩٠م .

١٠٧- معاني القرآن ، للزجاج (المتوفي: ٣١١هـ) عالم الكتب (بيروت) الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

١٠٨- معاني القرآن للفراء – الدار المصرية للتأليف والترجمة .

١٠٩- معاني القرآن ، للنحاس (المتوفي: ٣٣٨هـ) تحقيق : محمد علي الصابوني – جامعة أم القرى (مكة المكرمة) الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ .

١١٠- المعجزة الكبرى القرآن ، لمحمد بن أحمد بن مصطفي ، المعروف بأبي زهرة (المتوفي: ١٣٩٤هـ) دار الفكر العربي .

١١١- المعجم الاشتقاقي المؤصل ، د. محمد حسن جبل – مكتبة الآداب (القاهرة) ٢٠١٠م .

١١٢- معجم ديوان الأدب، لأبي إبراهيم إسحاق الفارابي، (المتوفي: ٣٥٠هـ) ت: د. أحمد مختار عمر – مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر (القاهرة) ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م.

١١٣- معجم اللغة العربية المعاصرة د. أحمد مختار عمر (المتوفي: ١٤٢٤هـ) عالم الكتب – الطبعة : الأولى ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.

١١٤- معجم المصطلحات الأدبية / إبراهيم فتحي – المؤسسة العربية للناشرين المتحدين (صفاقس) ١٩٨٦م .

١١٥- معجم وتفسير لغوى لكلمات القرآن ، لحسن عز الدين أحمد الجمل – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ط ١ : ٢٠٠٣ – ٢٠٠٨ م .

١١٦- المعجم الوسيط ، لمجموعة من أعضاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وهم: إبراهيم مصطفي، وأحمد الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد النجار - دار الدعوة.
١١٧- مفاتيح العلوم ، لمحمد بن أحمد بن يوسف البلخي الخوارزمي (المتوفي: ٣٨٧هـ) ت : إبراهيم الأبياري - دار الكتاب العربي - ط : ١ .
١١٨- مفردات ألفاظ القرآن ، للراغب الأصفهاني - دار القلم (دمشق) .
١١٩- مقاييس اللغة ، لابن فارس - تحقيق : عبد السلام محمد هارون - دار الفكر ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .
١٢٠- مناهل العرفان في علوم القرآن ؛ للشيخ / محمد عبد العظيم الزرقاني - مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه - ط : ٣ .
١٢١- المنتخب من كلام العرب ، لكراع النمل (المتوفي: بعد ٣٠٩هـ) جامعة أم القرى ط: ١ ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .
١٢٣- المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع - ت : علال الغازي - مكتبة المعارف ، الرباط ، ١٩٨٠ .
١٢٤- النحو الوافي ، لعباس حسن- دار المعارف - ط : ١٥ .
١٢٥- النظم المستعذب في تفسير غريب ألفاظ المهذب ، لأبي عبد الله محمد بن بطال الركبي - المكتبة التجارية (مكة المكرمة) ١٩٩١م .
١٢٦- نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد ، لأبي العباس البسيلي التونسي (المتوفي ٨٣٠ هـ) ت : محمد الطبراني - مطبعة النجاح الجديدة (الدار البيضاء) ط : ١ : ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م .
١٢٧- النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير (المتوفي: ٦٠٦هـ) تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي - المكتبة العلمية (بيروت) ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
١٢٨- الهداية الى بلوغ النهاية ، مكي بن أبي طالب - مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة - ط : ١ : ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م .
١٢٩- لواضح في علوم القرآن ، لمصطفي ديب البغا - دار الكلم الطيب ، دمشق - ط : ٢ : ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .
١٣٠- الوجوه والنظائر ، لأبي هلال العسكري (المتوفي: نحو ٣٩٥هـ) ت : محمد عثمان - مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة) ط : ١ : ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م .
١٣١- الوجيز ، للواحدي (المتوفي: ٤٦٨هـ) ت : صفوان عدنان داوودي- دار القلم (دمشق) ط : ١ : ١٤١٥هـ
١٣٢- الوسيط ، لمحمد سيد طنطاوي - دار نهضة مصر (القاهرة) ط : ١ .

كشاف الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة البحث	٩٥٧
وأما التمهيد فيشتمل على مطلبين :	
المطلب الأول: القرآن الكريم : تعريفه ، وفضله .	٩٦٠
المطلب الثاني: تعريف السياق تعريفه ، وأهميته ، وأنواعه .	٩٦٤
الدراسة التطبيقية للسياق في الآيات القرآنية الوارد فيها لفظ الإنسان وصفاته	٩٧١
الخاتمة	١٠٥١
كشاف للآيات القرآنية .	١٠٥٥
كشّاف للكلمات محل الدراسة.	١٠٥٨
كشاف لمصادر البحث ومراجعه.	١٠٥٩
كشاف عام للموضوعات التى وردت فى البحث.	١٠٦٨